

أصدر أربع مرات في السنة
عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

عالم الفكر

العدد ١٩٩٥ أبريل - يوليو ٢٠٠٤

رئيس التحرير

١. نذير سيد عبد الوهاب الزقاعي

مستشار التحرير

د. عبد الملك التميمي

هيئة التحرير

د. علي الطحراح

د. رشاد حمود المنباح

د. مصطفى معرفي

د. بدر مسال الله

د. محمد الفهلي

مديرة التحرير

نوال المنصوروك

سكرتير التحرير

عبد العزيز سفوح المرزوق

ثم التنظيم والإخراج والتنفيذ
بوحدة الإنتاج في المجلس الوطني
للثقافة والفنون والآداب

الكويت



هيئة فكرية مدعومة ، تهتم
بمجال الدراسات والبحوث
المتعددة والمجالات النظرية
والإسهامات الفكرية في مجالات
الفكر والثقافة .

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج العربي دينار كويتي
الدول العربية ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد ٩ د.ك
للمؤسسات ١٩ د.ك

دول الخليج

للأفراد ٩ د.ك
للمؤسسات ١٩ د.ك

الدول العربية

للأفراد ١٥ دولارات أمريكية
للمؤسسات ٢٥ دولارا أمريكية

خارج الوطن العربي

للأفراد ٢٥ دولارا أمريكية
للمؤسسات ٤٥ دولارا أمريكية

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك
المحول عليه المبلغ في الكويت وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢١٩٩٥ - الصفاة - الرمز البريدي ١٥١٥٥
دولة الكويت

شارك في هذا العدد



د. محمد جابر الأحمد
د. سمير أبو حنا
د. محمد علي الفرس
د. مصطفى احمد التركي
د. يوسف كسوراني
د. ناصر الدين صديقي
د. علي العسك
د. محمد المدهي
د. جمال مصطفى

قواعد النشر بالمجلة

ترحب المجلة بمشاركة الكتاب النشطين ونشيط النشر الدراسات والبحوث المتميزة وفقا للقواعد التالية:

- 1 - أن يكون البحث مبكرا أصيلا ولا يتصل بشيء.
- 2 - أن يتبع البحث الأسلوب العلمي المتعارف عليها وبطريقة واضحة تتعلق بالتوثيق والمصادر، مع الحفاظ كتحليل المصادر والمراجع في نهاية البحث وتزويد بالصور والخرائط والرسوم اللازمة.
- 3 - يتراوح طول البحث أو الدراسة ما بين ١٢ ألف كلمة و١٦ ألف كلمة.
- 4 - تقبل المواد المقدمة للنشر من مستعدين على الآلة الطباعة بالإضافة إلى الفرع الموز، ولا ترد الأصول إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- 5 - تخضع المواد المقدمة للنشر للتحكيم العلمي على نحو سرّي.
- 6 - البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات أو إضافات إليها تدار إلى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
- 7 - تقدم المجلة مكافأة مالية عن البحوث والدراسات التي تقبل للنشر، وذلك وفقا للقواعد المكافآت الخاصة بالمجلة.

■ المواد المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

■ ترسل البحوث والدراسات باسم الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

عن: ب. 20000 - البيضاء - الرمز البريدي 12100 دولة الكويت

البريد الإلكتروني: info@fakr.org

نزاعات الحدود والحروب الأهلية

- 7 الحدود بين العرب: لتجاوزها... لا بد من تحديدها! د. محمد جابر الأنصاري
- 93 حدود فلسطين مدخل إلى الاستعمار... د. سلمان أبو ستة
- 59 المولة والحدود... د. محمد علي القرا
- 95 الجوانب النفسية للحدود... د. مصطفى أحمد تركي
- 117 الحرب الأهلية وإشكالية الداخل والخارج د. وجيه كوثري
- 141 السائلة البربرية في الجزائر دراسة للحدود الإثنية للسائلة القارية د. ناصر الدين سعيدوني
- اتفاق تقديمية
- 201 تبار الوعي السياسي في المسرح الأثني د. عطية العقاد
- 243 طبيعة مفهوم الكلام ووظيفته... أ. محمد الداهي
- 257 حضور المثقفي في تأليف ابن قتيبة مقدمة «عيون الأخبار» نموذجاً د. جمال مقابلة

المسألة البربرية في الجزائر دراسة البُعد الإنساني للمسألة المغاربية

د. فاضل الدين سعيدوني (*)

تطرح المسألة البربرية في الجزائر اليوم - سواء في المجال الثقافي والاجتماعي وحتى الفكري والسياسي - عدة تساؤلات تتجاوز واقع الجزائر الحالي وتتعدى أوضاع المغرب العربي إلى ما يهم مستقبل الوطن العربي، لا الهه المسألة من انعكاس على أوضاع البلاد العربية القارئة وحالها بما يتصل منها بالتعامل مع الثقافات المحلية وتحديد دورها ومكانتها في المناخ الحضاري العربي الإسلامي.

وهذا ما يجعل معالجة هذه المسألة تنطلق من الفهم الذاتي والقناعة الحضارية وانتظرة المحايدة لواقع الشعب الجزائري. لأنها في نظرنا تعبر عن تعامل الذات الجزائرية مع نفسها وفهمها للعمليات التاريخية، وتحليلها للعوامل الداخلية والأسباب الخارجية التي ساهمت في بلورها وجعلها واقعاً يعيشها يتأثر به الفرد الجزائري ويتعامل معه. بعيداً عن ثيل الطائفي الجهوي، وانطلاقاً من النظرة الشاملة المتفهمة للواقع الثقافي الذي يصبح فيه الاختلاف حيوية والتمايز مساهمة والخصوصية إثراء وعطاء، وتعدد الثقافات المحلية طمّير لإغناء فكري وتنوع ثقافي وليس عامل حُرقة وتشتت وتمزق. وبذلك فقط يمكن فهم المسألة البربرية والتعامل معها باعتبارها إحدى القضايا التي يعيشها الشعب الجزائري ووضعها في مكانها من الحركة الاجتماعية والتفاعل الثقافي للجزائر المعاصرة.

وبهذا الطرح للمسألة البربرية نتجاوز المواقف السياسية والثقاعات الأيديولوجية لعداء «المسألة البربرية» إلى عرض تاريخي لا يأخذ في الاعتبار سوى الواقع الثقافي والاجتماعي للجزائر، ولا يتوقف عند انعكاسات «المسألة البربرية» في الساحة الجزائرية، وإنما يتجاوزها

(*) أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الكويت والجزائر.

المسألة البربرية في الجزائر

إلى تلك المطلقيات التي أسست لها والأفكار التي دعت إليها، والتي ارتبطت بالشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر في سعيه المتأروب لضرب وحدة الشعب الجزائري وتدمير الأسس التي تقوم عليها هويته العربية الإسلامية.

من هذا التوجه في المعالجة وهذا المفهوم للموروث الثقافي، يمكن أن نحدد أبعاد إشكالية المسألة البربرية من حيث منطلقاتها في الماضي وواقعها الحالي وأخطاها المستقبلية في هذه التساؤلات، هل أن المسألة البربرية كما تطرح اليوم تحتاج حركية التاريخ الجزائري، أم أنها إحدى إضرابات السياسة الفرنسية في الجزائر؟ وهل أن هذه «المسألة البربرية» من حيث الأفكار التي تحملها، قضية تخص الناطقين بالبربريات أم أنها تعبير عن ثبوت قومي قائم على التمايز الإثني والخصوصية الثقافية للخطية السلتية والشفوية والتي اضطرها الواقع الاستعماري الفرنسي وخاصة في منطقة بلاد القبائل، حيث تركزت عملية التبشير والفرنسة؟ أم أنها مجرد تعبير عن تلازم التناخ السياسي والثقافي والنداد الوضع الاجتماعي والاقتصادي نتيجة فشل المشروع الوطني الجزائري في تجاوز الموروث الاستعماري وعجزه وتفاعسه بعد الاستقلال عن ترسيم الهوية الحضارية للشعب الجزائري.

والتطابق من هذه الإشكالية سوف نتعالج «المسألة البربرية» في الجزائر باعتبارها موروثا ثقافيا ارتبط بالاستعمار الفرنسي وواقعها معيشيا أثرته تجربة الحكم الوطني، وتعبيرا سياسيا عن فتاعة أيديولوجية ومفهوم ثقافي، وهذا ما يفرض في هذه المعالجة إلى تجاوز العرض التاريخي المبسط والخطارية المصحفة المعبرة عن موقفه سياسي أو فتاعة أيديولوجية، والابتعاد عن التعميمات والأحكام الجاهزة وتكرار ما كتب حول هذه المسألة، وهذا ما يفرض علينا كذلك التنبيه، في مستهل هذه الدراسة، إلى أننا لم نأخذ بمصطلح «الأمازيجية» وإنما استعملنا تعبير «البربرية» لأسانته التاريخية، ولكون مصطلح الأمازيجية كلمة موضوعة لغرض سياسي أيديولوجي قائم على مخالطة لفظة تحاول التستر على الأصول الأولى لهذه المسألة وتهدف إلى تجاوز الخاص إلى العام، بحيث تكتسي فتاعات التخطية الداعية لها شكل مطالب مشتركة وطموحات مشروعة لمختلف الجهات التي توجد بها المجموعات الناطقة بالبربرية.

كما يتعين علينا كذلك التأكيد أن دراستنا للمسألة البربرية في منطلقاتها وتطورها التاريخي يظل محصورا في المجموعة المؤمنة بها والمعنوية لها والتي يكاد أغلب أفرادها ينتمون إلى الخطية الفرانكوفونية ببلاد القبائل⁽¹⁾ وهذا ما يبعد سكان بلاد القبائل، عن أي موقف جهوي وإحساس طائفي معاد للبربرية والإسلام، فالقبائل عبر تاريخهم ومن خلال مواقفهم جز، لا يتجزأ من المجموعة الوطنية الجزائرية، لا يختلفون في شيء في فتاعاتهم ومواقفهم ولا يقلون شأنًا في إسهامهم وعملهم لتعزيز الهوية الجزائرية وصيانة الوحدة الوطنية والتمسك والاعتزاز بها.

الطلاقا من كل ذلك، سوف نستعرض الأدبيات المؤسسة للمصالة البربرية، ونعرف بالتعبير البربرية بالجزائر وتأثيراتها في الواقع الجزائري (1914 - 2002). ونأمل أن يجد القارئ العربي في هذه الدراسة ما يسمح له بتكوين فكرة محددة ورأي صريح في المصالة البربرية من حيث منطلقاتها وتطوراتها وتأثيراتها على الواقع الجزائري.

أ- التأسيس للمصالة البربرية في الجزائر (1830 - 1914)

تتدرج الفكرة المؤسسة للمصالة البربرية في الجزائر ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي في الجزائر القائم على تحقيق هدف استراتيجي يتمثل في العمل على إلغاء الوجود التاريخي للشعب الجزائري. من حيث أسسه النادية ومفوماته الحضارية^{1/}، وقد تعددت معاني هذا المشروع الاستعماري الذي يستهدف البنية الاجتماعية والحضارية في فكرة تقسيم سكان الجزائر وتصنيفهم إلى بربر وعرب. لتوفير الشروط الثلاثة لبقاء فرنسا في الجزائر وتهيئة الظروف في حالة انتهاء المصالة الفرنسية لتكون كيانات محلية قائمة على التمايز القوي والخصوصية الإثنية.

لقد وجد مخططو المصالة الاستعمارية بالجزائر في المناطق التي مازال سكانها يستعملون لهجاتهم البربرية مثل الأوراس وسيزف والقبائل ما يوفيه شروطا أولية ووضعية ملائمة لتحقيق ما يطمحون إليه^{2/}، وقد تركز اهتمامهم في ذلك على منطقة القبائل لأنها حسب مفهومهم أكثرها قبلا وتأثيرا على باقي أقاليم الجزائر. فهي منطقة قريبة من مدينة الجزائر عاصمة القطر الجزائري وبينه كثيفة السكان صعبة التضاريس محدودة الموارد لا تتقبل الاستيطان الأوروبي الواسع ولا تسمح بالاستقلال الاقتصادي الراسخالي. فضلا عن كونها إقليما يتميز بخصائصه من حيث لغة السكان وعاداتهم وإقاليدهم الخاصة التي جعلت الفرد القبائلي - في نظرهم - يتمسك باستقلاليته ويمتد بالتمسك القبلي ويحجم عن الاندماج مع غيره، ويجهد نفسه في الحصول على قوته وتوفير حاجياته.

فيعد إخضاع بلاد القبائل وإخماد مقاومة رجال الزوايا بها (1811 - 1837)^{3/} انصب اهتمام الضباط الفرنسيين العاملين بالمنطقة وموظفي الإدارة المحلية المعروفة بـ «الكاتب العربية» (Bureaux arabes) و«البوارج البلدية المختزجة» (Communes mixtes)^{4/} كما تركز نشاط الباحثين الفرنسيين المختصين - وأغلبهم ممن عمل بالجيش الفرنسي - بالشؤون الأهلية (Affaires indigènes). على رصد كل ما يعجز «القبائل» عن فهمهم من الجزائريين. بتشجيع من الحكام العاملين للجزائر مثل البارشال بيجو (Maréchal Th. R. Bugeaud) والجنرال راندون (Général Randou) وماكماهون (MacMahon) الذين كانوا يصدرون تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم من الجزائريين في المعاملات وفي القوانين. وقد أبدى هؤلاء

المسألة البربرية في الجزائر

الضباط، والموظفون الفرنسيون عماسا وإمبرارا في مهمتهم حتى عرفوا في أوساط الإدارة الفرنسية بالضباط والموظفين «نوي الهول القبائلية» (Officers kabylephiles) وكونوا لأنفسهم قاعات تتلخص في فصل القبائل عن باقي الجزائريين. وهذا ما جعلهم يؤمنون بضرورة أن يكون لفرنسا سياسة بربرية في الجزائر، ونظرا لكون تلك السياسة غير واقعية ومستحيلة التطبيق لرفض غالبية السكان لها وتخوف العمريين الأوروبيين من نتائجها، فإنها ظلت مجرد فكرة أيديولوجية وخطة سياسية، عرفت لدى العديد من الدارسين للسياسة الفرنسية في الجزائر بـ «الخرافة القبائلية» أو «الوهم القبائلي» (Mythic kabyle)، وكان في طليعة من حل هذه المسألة المؤرخ شارل روبير أجرون (Ch. R. Agaron).

ويغض النظر عن ملايسات هذا الوهم أو الخرافة القبائلية فإن الاهتمام بمنطقة القبائل وهو إسهاما أدبيا وتاريخيا ومرجعا أيديولوجيا للسياسات البربرية لفرنسا في الجزائر، كانت بدايته ما تركه المستشرق الفرنسي فانتور دو بارادي (Venture de Paradis) أواخر القرن الثامن عشر من ملاحظات حول قواعد اللغة البربرية ومفرداتها، والتي جمعت وطبعت بباريس (1814) بعنوان «قواعد ومفردات اللغة البربرية»¹. وكذلك ما لاحظته الأب رينال (Abel G. F. Reynal) عن البربر في كتابه «التاريخ الفلسفي والسياسي للمؤسسات وتجارة

الأوروبيين في إفريقيا الشمالية»² (1829). لقد ضلّى الإسهام الفرنسي النطق بمنطقة القبائل والؤس للمسألة البربرية فترة تجاوزت القرن (1829 - 1929) وأوجدت زميلها مقبولا من الأدبيات والدراسات التي تعالج «إثنوجرافية القبائل» من حيث التقاليد والأعراف والروايات الشفوية والثرات الفولكلوري والمظاهر الاجتماعية والدلالات اللغوية والبقايا الأثرية. فكانت أساسا لما يعرف بـ «رصيد الوثائق البربرية» (Fonds de documentation berbère)، هذا الرصيد الذي حرص الأباء البيض في بلاد القبائل على جمعه منذ سنة 1817. وصممت مراكز البحث الفرنسي حاليا على توظيفه في الكتابات ليكون مرجعا مفضلا للباحثين الفرنسيين والدعاة الفكرة البربرية في الجزائر.

شكلت هذه الدراسات حول المسألة البربرية بالجزائر أدبيات أيديولوجية ومعالجات إثنوجرافية كانت الأسس التي يقوم عليها علم «الاجتماع الاستعماري» في الجزائر (Sociologie coloniale) وتطلق منها «الإثنوجرافية والأنثروبولوجية الأهلية» (Anthropologie et ethnologie indigènes). وقد أحصى منها العسفيد ماسكوري (Masqueray) في كتابه «تكوين المراكز الحضرية للسكان المستقرين بالجزائر» قبائل جرجرة والأوراس وميزاب، الصادر سنة 1886، متعلقة عنوان عن بلاد القبائل ومائة وسبعين عن منطقة الأوراس³.

والأهمية هذه الدراسات المؤسسة للتدعوة البربرية في الجزائر، فإننا سوف نشير إلى بعض العينات المهمة منها مرئية حسب تاريخ ظهورها في القائمة التالية :-

- (١٨٢٥) ج. فرعون (J. Fréon)، القبائل وبجاية.
- (١٨٢٧) ١. دورو دو لامل (A. Durou de la Malle)، معلومات حول استيلاء الفرنسيين واستقرارهم في هذا الجزء من شمال أفريقيا.
- (١٨٢٧) الطباطبة هـ. صالادان (H. Saladin)، رسالة حول استعمار الملكات الفرنسية في شمال أفريقيا.
- (١٨٢٩) العقيد إيمون لابون (Colonel Ed. Lapène)، ستة وعشرون شهرا ببجاية - مذكرة تاريخية وأخلاقية وسياسية وعسكرية حول القبائل، طبع جزء منه منفصل بعنوان: لوحة تاريخية واجتماعية وسياسية حول القبائل (١٨١٦).
- (١٨١٠) القس سوشي (Abbd Souchet)، رسائل أساسية وعظيمة حول البلاد الجزائرية.
- (١٨٤١) الأب دوقا (Père Dugas)، بلاد القبائل وشعب القبائل.
- (١٨٤١) البارون بود (Baron Boud)، الجزائر.
- (١٨٤١) ١. بافو (E. Bavaux)، رحلة سياسية وصفية في الشمال الأفريقي.
- (١٨٤٤) ١. بروسلاف (Ch. Broselard)، القسوس الفرنسي البربري، بمعونة سويدي أحمد بن الحاج علي.
- (١٨٤٥) المارشال شر. بيجو (Maréchal Th. R. Bugeaud)، عرض للوضع الحالي للمجتمع العربي أو مختلف الأعراق التي تسكن البلاد الجزائرية (عربا وقبائل).
- (١٨٤٧) الكاتب فابر (Capitaine Faber)، والجنرال أوجين دوما (Général Eu. Dumas)، بلاد القبائل الكبرى - دراسات تاريخية.
- (١٨٤٧) ١. دويلان (Ch. Deplan)، القبائل وبلاد القبائل.
- (١٨٤٨) الكاتب ١. كاريث (Capitaine E. Carre)، دراسة حول بلاد القبائل الحقيقية.
- (١٨٥٢) الجنرال أوجين دوما (Général Eu. Dumas)، عادات وتقاليد البلاد الجزائرية (القبائل وبلاد القبائل والمصحراء)، وبلاد القبائل والمجتمع البربري.
- (١٨٥٢) ١. بريروغجي (A. Brodigger)، الفترات العسكرية في تاريخ بلاد القبائل، والتطور العسكرية للقبائل الكبرى تحت الحكم التركي (مقاطعة الجزائر).
- (١٨٥٤) ١. فبرو (Ch. Féraud)، مذكرات حول بجاية.
- (١٨٥٩) ١. دوقا (C. Dugas)، قبائل جرجرة.
- (١٨٦١) الطبيب ١. برنار (Dr. A. Bernard)، الحملة العسكرية على بلاد القبائل.
- (١٨٦١) العقيد ل. غان (Colonel L. Gain)، مذكرة حول الشيخ قاسم القشولوي.

المصادر الأولية في الجزائر

- (1861) البارون هنري أوكايتان (Baron H. Aucapitaine)، القبائل واستعمار الجزائر.
- (1866) ش. فارين (Ch. Farin)، عبر بلاد القبائل.
- (1866) ن. بيبسكو (N. Bibesco)، قبائل جرجرة.
- (1879) غابريال هانوتو (G. Hanoteau)، الأشعار الشعبية لقبائل جرجرة.
- (1879) أو. بومال (Au. Poma)، أجناس أهالي بلاد الجزائر (عرب- قبائل، حضرة، يهود).
- (1892) العقيد أ. هانوتو (A. Hanoteau)، قواعد القبائلية.
- (1892) 1. هانوتو (A. Hanoteau) وأ. لوتونو (A. Lotonno)، بلاد القبائل والعادات القبائلية.
- (1892) العقيد ن. روبان (Colonel N. Robin)، مذكرة حول التنظيم العسكري والإداري للأثرال قبائل الكبرى.
- (1898) ه. فورنال (H. Fournel)، البيرير دراسات حول فتح العرب لأفريقيا.
- (1898) الطبيب غافوا (Dr. Gavey)، مذكرة حول تيزي أوزو.
- (1881) م. مانوفرييه (M. Manouvier)، أنشروبولوجية الجزائر.
- (1884) أو. مرسيه (E. Marsie)، أهالي القطر الجزائري.
- (1886) أو. مانسكرواي (E. Manskroay)، تكوين المراكز العمرانية لدى السكان المستقرين بالبلاد الجزائرية (قبائل جرجرة).
- (1886) أو. هوداس (O. Hodas)، الجغرافية الجرافة.
- (1888) ش. أو. بيرتي (H. E. Peretti)، ختافات جزائرية⁽¹⁾.
- (1888) ب. غافار (P. Gaffard)، الجزائر المحتلة.
- (1888) كامي فيري (C. Vire)، القبائل.
- (1889) أو. شارفينيا (E. Charvenia)، عبر بلاد القبائل والمسائل القبائلية.
- (1890) ل. رين (L. Rinn)، تمرد القبائل سنة 1896.
- (1893) جول ليونال (J. Lionel)، أجناس البيرير، قبائل جرجرة.
- (1895) ج. بواسيه (G. Boissier)، أفريقيا اللاتينية.
- (1905) جورج إيليه (G. Elie)، بلاد القبائل والآباء البهمن.
- (1905) ج. لوميستر (J. Le Maistre)، عادات وتقاليد القبائل.
- (1912) 1. لاوست (E. Laoust)، دراسة حول اللهجات البيريرية لشنوة مقارنة باللهجات بني مناصر وبني صالح.
- (1912) 2. دولي (Ed. Doust) وأو. ف. غوثيه (E. F. Gauthier)، تحقيق حول انفراض اللغة البيريرية.
- (1912) ج. مارسيه (G. Marsie)، العرب في بلاد البيرير من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر.

- (١٩١٤) المطبق ل- بيشر (Colonel L. Pichot): تاريخ أفريقيا الشمالية.
- (١٩٢١) فـ. بيكيه (V. Piquet): حضارات شمال أفريقيا (البربر والعرب والترك).
- (١٩٢١) أو. برنار (An. Bernard): تحقيق حول السكان الريفي للأطلسي الجزائريين، الجزائر (١٩٢٩).
- (١٩٢٢) لو. لارشيه (E. Larcher) وجـ. ريكستفالد (G. Rostenwald): مدونة لولاية للتشريع الجزائري.
- (١٩٢٢) لويس برتران (L. Bertrand): الإسلام والخمسة المسلمين - قصيدة الأجناس (١٩٢٠).

ب- فرضيات وطروحات المعالمة البربرية بالجزائر

إن هذه الدراسات حول العنصر البربري في الجزائر وما يتعلق منها بالبناء الاجتماعي كنظام القبائل وخاصة ما يرجع منها إلى العادات والتقاليد والشفاقيات الشفوية والنهات العلمية والظواهر اللغوية وشواهد ما قبل التاريخ والبقايا الأثرية والدلالات القوية وفرت الإطار النظري والمراجع الأيديولوجي لتعديد قواعد تطبيقية «السياسة البربرية» لفرنسا في الجزائر. هذه السياسة التي صيغت من طرف منطري التشريع الاستعماري في شكل قوانينها، فسلم بها وأفكار غير قابلة للمناقشة والتد من أجل تحقيق أهداف محددة أساسها تقسيم الجزائريين إلى هويتين قبايلية وعربية ووضع حواجز بين المجموعتين لتسليطة الاستعمار الفرنسي والثالثة الثقافة الفرنسية.

و انطلاقا من قراءة متفحصية لهذه الفرضيات والأفكار المؤسسة للمساكنة البربرية يمكن تحديد الخطوط العامة لها في النقاط التالية:

١- فصل القبائل عن باقي الجزائريين باعتبارهم مع غيرهم من المجموعات البربرية إثنية متميزة لا تعبت للعرب بأي صلة. بل هي معادية بطبيعتها للعرب (Les berbères ennemis des Arabes). إذن فعلى فرنسا والحالة هذه أن توجد توازنا بين العرب والقبائل باعتبارهما إثنيين أو قوميتين متميزتين. وهذا ما أوضحه أو. شارفينا بقوله: «يوجد في الجزائر عنصران متميزان من حيث اللغة والعادات وحتى الدين، وهما العنصر القبائلي والعنصر العربي. ويجب علينا أن نبقى هذا التمايز والانقسام»^{١٠}.

باشرت الإدارة الفرنسية في الجزائر إلى سن قوانين تهدف إلى إبعاد القبائل عن باقي الجزائريين في المعاملات الإدارية وفي التمثيل المحلي. فعملت للقبائل تمثيلا خاصا بهم في المجالس المالية (Délégations financières) (١٨٩٨). وخصصت لهم ستة ممثلين من مجموع واحد وعشرين ممثلا في هذه المجالس لكل الجزائريين. وقد كانت حجة الإدارة الفرنسية ودارسي البربريات في هذا التقسيم أنهم يسعون إلى المحافظة على إثنية السكان الأصليين

العثمان البربرية دم الزائر

لشمال أفريقيا، وهم البربر، التهدة من جهة العصور العربي الذي يمثل في نظريهم فئة ضئيلة فهمين على أغلبية محلية حسب تعبير دي شومسان⁽¹⁾، ويجسده في ذلك فيكتور بيكسي (V. Piquet) عندما يعلن صراحة أنه: «لا يمكن القبول بالفكرة القائلة بأن شمال أفريقيا أهل بالعرب... إن سكان شمال أفريقيا لم يهرعوا فهم ليسوا سوى مغاربة» (Maurus)... إن هذه البلاد هي تراث هذا الجنس الجميل الذي يسكن جبال القبائل⁽²⁾، ويؤكد فكرته لويس برتران (L. Bertrand) عندما يعلن أن: «البربر في الجزائر هم الأصل وإن العرب ما هم إلا غزاة دخلاء»⁽³⁾، وهو لا يختلف في توجهه هذا عن أوكسيستان بريلز (A. Bertrand) الذي يحط من شأن العرب ويذكر: «أنه يجب ألا نبالغ في تأثير العملة الهلالية التي عرفت المغرب في القرن الحادي عشر، فالتبرير وإن لمسا لغتهم وأخذوا لغة الغزاة، فهم بكل بطن قد حافظوا على تفوقهم العديدي»⁽⁴⁾، والحكم نفسه نجده عند فورنال (Fornal) عندما يستخلص في دراسته للفتح العربي لبلاد المغرب: «أنه اكتشف الجنس البربري وتعرف على طباعه وتبين أن نسبة تأثيره بالمغرب ليس لها أي أهمية»⁽⁵⁾.

وقد انتهى الأمر بدارس البربرية من الفرنسيين في الجزائر إلى حد اعتبار القبائل أقرب الجماعات المتكاثرة إلى الأوروبيين، **حسب فيكتور بيكسي**، «إن لغة سنة قرابة بالأجناس الأخرى بحوض البحر المتوسط، وأهم عنصر قوي عرفت كيف بعد من عراة الحرية ويعولها إلى نشاط سلمي متميز»⁽⁶⁾، أما غاستون مونتبييه (G. Montebier) فهو يرى أن القبائل شعب نبيل في انتمائه قابل للتحويل السريع والتحمل لكل العنصرات التي كان على اتصال بها، وهو يعد من بين الشعوب التي استطاعت أن تحافظ جيدا على خصائصها الأولية وطبيعتها الخاصة، وهذا ما جعله شعبا يجمع عدة خصائص قد لا تجدها متوافرة لدى شعب آخر بهذه العرجة، فهو قد يظهر لنا أنه مستسلم متقيد بصفة عامة ومتعايش مع أوضاع الآخرين، ولكنه في اعماقه يحافظ على نفسه ويكلمة واحدة هو شعب قليل القناعة ولكنه شديد الثبات والاستمرار⁽⁷⁾، وهذا ما أخذ به أحد دعاة البربرية ببلاد القبائل وهو المحامي أبايزن الذي استبدل اسمه بأوكسيستان بعد اعتناقه المسيحية، إذ يعتبر: «أن القبائلي ليس ساميا في أصله، ولكنه ينتمي إلى إنسان المتوسط الذي اتجه التاريخ إلى جبال جرسرة والذي هو في ميوله أقرب إلى الشعوب اللاتينية»⁽⁸⁾.

وقد صاحب هذا التوجه محاولة تحديد التواسطات الإثنية للمغرب والقبائل، فوصفوا العرب بأنهم بدو يمنهون الفرنسية ومنديون ونزو شعور وحيون سوداء وبشرة أكثر سمرة، فبما القبائل مشاة وفلاحون قليلو التدين شمر الشعور زل العمور، مع أن هذه الأحكام في أساسها مناقية لكل منطق علمي وحقيقة تاريخية، لأن سكان الجزائر يعتبرون من عنصر بشري واحد نتج عن امتزاج العرب بالبربر والصهار الألوام الأخرى التي اختلطت بهم بحيث أصبح من المستحيل التمييز بين البربري الفتح والعربي الأصل.

ومن هذا المنطلق فإن متطري السياسة البربرية لقروننا في الجزائر لم يشهدوا هي إطلاق أحكام عنصرية صارخة تعكس من شأن من المستعمر عريضا، فالجنرال دوماس (Général Eu. Dumas) يستلج في دراسته للمجتمع الجزائري أن العربي بدوي متوحش بدائي ومتعصب وغير جدي وكسول وأن القبائلي قلاخ منجح متعصب حضور بنفسه وعامل معتمد يرى في الكسول عارا ومذلة¹⁷. وكذلك الدليل السياسي لبهاية (Désastre de Bougie) الصادر في 1914 الذي يعرف السائح الأوروبي بطبيعة السكان بهذه العبارة: «إن القبائل أفضل من العرب ولهم قابلية الاندماج في بولقة التقدم الحضارتية»¹⁸. وقد كان القصد من هذا البحث من شأن المتعصب العربي وإحقاق شئ الأوصاف النحطة به والافتخار بالمتعصب القبائلي هو جعل القبائل يحسون بشخصيتهم ويحفل لديهم عقدة التمييز التي سوف تكون بمثابة حاجز نفسي بينهم وبين باقي الجزائريين.

وقد أخذ هذا التوجه لدى مجموعة الضباط والموظفين ودارسي البربريات الفرنسيين في الجزائر طابع حملة صليبية شملت أوجها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن عشرين على الذكرى الثوبى للاحتلال الفرنسي للجزائر (1830) «Ceménaires» مصنفوا العرب في خانة الأعداء والمقصوم واعتبروا العرب من الجزائر أعداء والفتح الإسلامي احتلالا والهجيرة الهلالية في القرن الخامس الهجري (العشري عشر الميلادي) عامل حروب وتدمير، فالضباط الفرنسي كاريت (J. Carret) وهو أحد مثقبي السياسة البربرية تنرنا في الجزائر يصف الوجود العربي بالجزائر بهذه التعصبات الاستعمارية، «لقد كان هجوم العرب الفاتحين كالإعصار يقتلع الأشجار ويهدم المنازل، وهجوم الهلاليين كان حريق الهائل الذي يذر الأشجار والمساكن رمادا تفرز الرياح، فما أبقاه الإعصار قضى عليه الحريق»، وما بقي من السياسة العربية قلما ذهب به الطبع الهلالي، فاتم الهلاليون أعمال التعريب التي ابتدأها الخلفاء الأولون¹⁹. ولعلقت نفسه ببناء أحد دعاة البربرية المدعو لحواس معنوفي متدعا بحلق من التفرقة الهلالية بهذه العبارة: «إنها كثيرة هي الآلام التي نتجت عن اجتياح الهلاليين في الماضي. هذا الاجتياح الذي كان نتيجة خيانة وغير عرب القاهرة (بشخص القاطنين) الذين يتحملون مسؤولية ذلك»²⁰.

2- إبعاد القبائل عن الأحكام الإسلامية من حيث الأحوال الشخصية والمعاملات والقوانين واستبدالها بالتقاليد والعرف والعادات (Us et coutumes) وبالقوانين الفرنسية لكونها كفيلة بتأكيد خصوصيتهم العرقية ووضعهم الاجتماعي المتميز ولأنها أكثر ملاءمة النفسية القبائل التي راعوا أنها لم تتأثر كثيرا بالتواضع الديني، فبشلا عن أن إلقاء الأحكام الشريعة لدى القبائل في حد ذاته يعتبر بمثابة القضاء على الفاسم المشترك الذي يوجد الجزائريين ويحفظ كيانهم ويحاول دون نجاح المخطط الاستعماري الفرنسي الذي يستهدف هويتهم.

العملية القبلية في الجزائر

وفي هذا المسمى يادر الحكام الفرنسيون بالجزائر بعد إخضاعهم بلاد القبائل إلى إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية التي كانت متبعة في أوساط قبائل جرجرة، فأصدر حاكم الجزائر رانزون (Ranzon) تعليمات (Circulars) تحت رقم 197 بتاريخ 11 يناير 1858 للتضبط على العسكريين القبلية على الكاتيب العربية ببلاد القبائل يطلب فيها منهم التخلي في معاملاتهم عن القوانين التي لها الصلة بالشرع الإسلامي، والتي كانت «الكاتب العربية» تطبقها في مجمل أنحاء الجزائر، واستبدالها بتنظيم محلي خاص بالقبائل لكونه يتواءم مع أفكارهم ويظهرهم أكثر إلى النظام الفرنسي⁽¹⁾، وبالفعل دخلت هذه التعليمات حيز التنفيذ العملي بعد أن صيغ العرف القبلي في شكل قوانين قابلة للتطبيق، وقد كان في طليعة الضباط المتحمسين لاستبدال أحكام الشرع الإسلامي بالعرف القبلي العقيد بيشو (Colonel Pichot)، فقد كان يرى أن من واجب فرنسا أن تصوغ كل الأعراف والتقاليد القبلية في شكل أحكام وتطبقها في كل بلاد القبائل، وقد وجد المساعدة من العقيد هانولو (Colonel Hanoulet) والمستشار لوتورنو (Lottorneau)، فلم يتراجع الأول أمام الصعوبات والعوائق القانونية وأكد الثاني في رسالته المؤرخة في 11 نوفمبر 1861 للسلطات الفرنسية: «إن فكرة إحياء العرف القبلي قد فرضت نفسها، وضحت طريقها **لتطبيق في شكل أحكام موحدة وموثقة على نصف مليون من البربر (القبائل)**»⁽²⁾.

وبالفعل فقد انصب اهتمام الضباط الفرنسيين العاملين بمسألة قبائل ومستشاري الإدارة الفرنسية بها على توفير النماذج التشريعية الفاتية للتطبيق اعتمادا على الملاحظات التي جمعوها والكتابات التي أنجزوها حول عادات وتقاليد القبائل، مما وفر مادة قانونية عرفت بالقانون القبلي، وأولت إلى كل من كاريت (E. Carret) ودوما (E. Douma) وهانولو (Hanoulet) ولوتورنو (Lottorneau) وميو (Millet) مهمة تجميعها وصياغتها، وبذلك أمكن الإدارة الفرنسية ببلاد القبائل إلغاء أحكام الشريعة الإسلامية المتعلقة بالأوقاف والمعاملات من نكاح وطلاق وما يفرع عنهما من ميراث وصية وحجر وتمويهها بالقانون القبلي، فقد نص قانون 21 ديسمبر 1859 الخاص بأحكام الشريعة الإسلامية المتبعة في الجزائر على أن بلاد القبائل لا يطبقها هذا القانون، ولم يخل الأمر حتى اقتضت السلطات الفرنسية أحداث انتفاضة الرحمانيين (1871) لتتزع الصلاحيات القضائية ذات الصلة الإسلامية من مجلس الجماعة (القروية) وتجعلها في يد قاضي الصلح المعروف بالقاضي الموثق المكلف بتسجيل القضايا ومساعدة مجرزي العقود الفرنسيين (Notaires)، وبعد ثلاث سنوات من ذلك تم عملية إلغاء القضاء الإسلامي ببلاد القبائل وتمويحه رسميا بالقانون الفرنسي في كل المعاملات بفعل قانون 29 ديسمبر 1871، وهذا ما استوجب تعميم المعايير الاستثنائية وحل مجالس الجماعة نهائيا (1882) وتحويل صلاحياتها إلى قضاة الصلح (الموثقين) الفرنسيين (1889)⁽³⁾.

و كان الهدف من هذا التوجيه المعادي للهوية الإسلامية هو جعل منطقة القبائل مهددة لحرية لما سوف يعمم على جهات عدة أخرى من الجزائر والغرب الأقصى، وقد بدأ التحضير لذلك مع استدعاء إدموند دوتش (Edmond Douhet) إلى الرمساط (1912) ونقل أندري باسبه (A. Basse) من الجزائر إلى الرباط (1912 - 1920)، لتعزيز جهود بعض دارسي البربريات في معظم الدؤوب من أجل إصدار الظهير البربري في الغرب الأقصى (1920) (1).

هذا وقد طغت هذه السياسة الفرنسية أساسا لعمل الشرعيين الفرنسيين الذين اشترطوا على الجزائريين، للحصول على المواطنة الفرنسية، التخلي عن أحكام الشرع الإسلامي فيما يخص الأحوال الشخصية سواء في مواد مرسوم الإمبراطور نابليون الثالث المعروف بالميخايلوس كونسولت (Schœlcher Consolts) في 11 يوليو 1866 أو أحكام قانون الأحوال الشخصية لعام 1919.

2- العمل على إضعاف الشعور الإسلامي لدى القبائل ونشر المسيحية بينهم بحيث انطلق منظرو المشروع الاستعماري وهي مقدماتهم بعض رجال «كنيسة أفريقيا» في سعيهم لتعهد العقيدة الإسلامية والتعهد نشر المسيحية نشر القبائل من سلطات عالية في السداجة، فقد اعتبروا أن إسلام البربر - وخاصة القبائل منهم - إسلام سطحي وأن عقيدتهم الأصلية هي المسيحية، وأن على فرنسا أن تساعدهم على «تحريرها» وأنوا يهدفون من وراء ذلك إلى القضاء على العامل المشترك والمثلثة التي لا تعهد بين البربر ترويع والعروة الوثقى التي تشد الجزائر وبقي أقاليم شمال إلى روح الشرق العربي (2)، فامتسوت الإدارة الفرنسية «الإسلام» صوبها الأول في الجزائر، مما جعلها تعمد إلى محاصرة الكتابات القرآنية وتحارب من يحاول تعليم العربية باعتبارها لغة القرآن وسيلة لفهم العقيدة وانتقله في الدين، وقد انتهى الأمر بالإدارة الفرنسية، سنة 1901، إلى سن قانون يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية لا يسمح بتعليمها إلا بتصريح خاص.

ومع المقاومة التي أبدتها (وأيضا بلاد القبائل - في الحفاظ على تعليم القرآن وأحكام الدين، وهي توعية السكان بمخاطر الحركة التبشيرية - اتخذ النشاط التبشيري بلاد القبائل في بدايته طابع أعمال طيرية وخدمات صحية وتعليمية، فبادرت المؤسسة التبشيرية برئاسة الأسقف لافيجري إلى تقديم يد العون والمساعدة للمحتاجين وتوفير التعليم في المؤسسات الدينية، وقد وجدت فرصة سانحة في مجاعة 1867، هذه المجاعة التي ذهب ضحيتها ما يقدر بربع سكان الجزائر ومنهم عشرات الآلاف في بلاد القبائل، فخصصت الأسقفية إعانات للمتضررين قدرت بـ 80000 فرنك جمعت بالاستعانة بالسلك الكنسي بفرنسا، وهذا ما سمح بجمع 1752 طفلا يتيمًا تتراوح أعمارهم بين ثمانين وعشر سنوات من بلاد القبائل، ووفرت لهم المأوى والدراسة بعد تعليمهم ولقبتهم ميائتي الدين المسيحي (3).

ولم ينته القرن التاسع عشر حتى أنشئت ثلاثون كنيسة ببلاد القبائل وقتحت سبعة عشر مدرسة التبشيرية بها 2168 طفلا موزعين على 70 قسما دراسيا يعلم بها 21 راهبا من الإخوة البهيم، و 50 راهبة من الأخوات البييط، موزعة على العديد من قرى بلاد القبائل منها: الواضحة (1878)، بني اسماعيل، جامعة الصهاريج، بني مقلات، إينيل علي، القصور، عزوز، تيزي أوزو، والد عيسى، القرو (1928) ¹¹ وهذا ما سمح بهما بعد بتفريخ عدد أكبر من ذوي الثقافة الفرنسية المنغمين لمتطلبات الحضارة الغربية والبعيد من كل انتماء عربي أو إسلامي.

لم يحقق النشاط التبشيري في بلاد القبائل مكاسب معتبرة فلم يعتنق المسيحية إلا أفراد قليلون أغلبهم اندمج في المجتمع الفرنسي بعد حصولهم على الجنسية الفرنسية ولم يعودوا يعتبرون أنفسهم من القبائل الذين ظلوا على دينهم، لأن المجتمع القبائلي رفضهم واعتبرهم كفارا وموثقين لا يجوز التعامل معهم بل لم يسمح لهم بأن يدفوا في مقابر المسلمين، أما الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية وتخلوا عن كل أحكام الشريعة الإسلامية فقد اعتبرهم الإدارة الفرنسية كإطفي الجزائريين رغم نخسهم وألتر مهم في مدالاتهم بالقانون الفرنسي، كما حدث في الانتخبات المحلية **بالقبائل التي رفض** شبعها الفرنسيون حتى لا يكون المسلمون أغلبية بالجلسات البلدية، رغم أن أغلب العائدين بقا كادرا من القبائل المتجنسين الذين تطلوا من أهوالهم الشخصية الإسلامية ¹²

1- دمج القبائل في بوتقة الحضارة الغربية وتمكينهم في المجتمع الفرنسي وتسطيرهم لخدمة الصالح الفرنسية هي شغل أعز فيها بدعوى أنهم أقرب إلى الفرنسيين منهم إلى باقي الجزائريين في أصواتهم وعاداتهم وقدراتهم وفائليتهم، فالشعب القبائلي - حسب أقوالهم - سليل سكان فرنسا الأصليين من الفانيق والرومان، وهذا ما جعله متقبلا لمطبعة الحضارة الفرنسية، فاعتبر الكاتب الفرنسي أليكسي دو توكفيل (A. de Tocqueville)، أن: «بلاد القبائل وإن كانت متلفة أصلا إلا أن نفوس وصغارها سكانها القبائل متقبلة لنا» ¹³، وجزاء في ذلك التعهد أندري (Cubertel Andrieu) الذي كان يرى أن: «القبائل هم أكثر قربا من شعب فرنسا وإن التفاهم القبائل معهم ممكن الوصول إليه بكل سهولة» ¹⁴.

بهذا التوجه اعتبر دعاة المشروع الاستعماري الفرنسي ببلاد القبائل أن أحسن وسيلة لاستيعاب القبائل وصهرهم في بوتقة المجتمع الغربي هي نشر التعليم الفرنسي بينهم بعد أن فشلت محاولات التصير، فبدأت عملية فرنسية ببلاد القبائل باكرا عندما بادرت حكومة جول فيري (Jules Ferry) بفتح أربع مدارس موهبة بالمدارس الولاية، هي كل من تاسنازيوت وجامعة الصهاريج وتيزي راشد والويزيرت ميمور وأزفون لتكون نموذجا للمدرسة اللاتينية الفرنسية المكلفة بنشر الثقافة والفهم الفرنسية في المراكز السكانية لبلاد القبائل ¹⁵، ووفرت

هذه المؤسسات التعليمية النموذجية - مع العديد من المدارس البلدية الشهيرة التي أنشئت في قرى بلاد القبائل - التعليم الفرنسي لغالبية الأطفال ببلاد القبائل، بحيث رفعت نسبة المتدربين بمنطقة القبائل إلى مستويات لم تعرف في غيرها من الأقاليم الجزائرية، فأصبح لكل 2100 طفل مدرسة فرنسية ببلاد القبائل سنة 1882 في مقابل مدرسة واحدة لكل 27000 في منطقة الجزائر العاصمة و 10000 في ناحية عنابة رغم كون هاتين المنطقتين عرفتا تتركزا للعناصر الأوربية وتطورا اقتصاديا ملحوظا.³⁷

تركزت مساهمة مخططي السياسة البربرية الفرنسية في الجزائر على وضع إطار كقبول بالوقوف في وجه المد العربي الإسلامي الذي بدأ يقوض نفسه مع تصاعد الحركة الوطنية الجزائرية في العشرينيات والثلاثينيات، فظهرت في منتصف القرن التاسع عشر فكرة تأكيد الطابع البربري لشمال أفريقيا على أن تكون أولى حلقاته حسب هذا المخطط، صيغ الجزائر بطابع قبائلي (Kabylisation de l'Algérie)، لكن هذا المصم مع تحولته إلى فتاعة لدى المهتمين بالتبصريات من إداريين وحسابات فرنسيين، أنه جلت أن خلقت هذه الإدارة الفرنسية بعد إلغاء الحكم العسكري بالجزائر مع سقوط حكم ديلبون الثالث وتعهد المهتمين الفرنسيين في مقابلة الأمور بالجزائر (1880).³⁸ فلم بعد دعاء البربرية من الفرنسيين بدأ من تعديل موقفهم وطرح فكرة إشغالهم للتبصير فرنسا وبين القبائل باعتبارهم ممثلي القضية البربرية في شمال أفريقيا، فاستقبل شمال أفريقيا في نظريتهم يقوم على تكوين تحالف فرنسي-قبائلي كمثل تشكيل محور شمال-شمال جنوب يجعل شمال أفريقيا جزءا مكمل لأوروبا الجنوبية بشريا واقتصاديا وحضاريا، وهذا ما صير عنه لمراسن معنوق في أحد الداعمين لهذه الفكرة بقوله: «إن بلاد البربر (شمال أفريقيا) لم تكن شرقا ولم تكن إلا بعيدة عنه... وإن علاقتنا مع القارة الأوروبية لم تفتأ عبر القرون لتقارب وثائق لتصبح الوسيط الذي لا يمكن الاستغناء عنه بين أوروبا الغربية وغرب أفريقيا، وهذه العلاقة تقوم على محور شمال جنوب القائم على التضامن، والذي سوف يكون له دور بارز في حركة العالم، فالمستقبل يكمن في أوروبا-أفريقية (Eura-Africaine) أو الولايات المتحدة الأوروبية الأفريقية... وإن الماضي بظاهره، كما أن الحاضر بعلاقاته المعقدة يجعل ذلك في حكم اليقين»³⁹، والفكرة نفسها أخذها أحد المؤثرين في السياسة الفرنسية الجزائر الجنرال أندري مواله: «إن سكان شمال أفريقيا قد عرفوا أن مصالحهم الحقيقية هي الانضمام إلى محور شمال جنوب القائم على فكرة «التوسطية الغربية»، وليس محور شرقي غربي الذي ما فتئ البربر يرفضونه عبر التاريخ، وإن وجود المهاجرين من القبائل بفرنسا لدليل على التواصل الفرنسي القبائلي الذي سوف يؤسس لشراكة حقيقية فرنسية-قبائلية نابعة من رغبة الجانبين لتحقيق قائمة الطموح»⁴⁰.

العملية الترميمية في الجزائر

ولم يلبث هذا التوجه الفاعل على التحالف الفرنسي القبائلي أن اتخذ طابعا ثقافيا بعد أن امتحن تحفظة اقتصاديا وسياسيا نظرا لطبيعة الاستعمار الفرنسي ولتصاعد المد الوطني في أقطار شمال أفريقيا، فوجدوا نوعيا عن ذلك في الإنتاج الأدبي الفرنسي الذي ساهم به كتاب جزائريون من منطقة القبائل محل تقدير وتأييد لكونه يؤكد التواصل المشترك بين المجموعة القبائلية والفرنسية، وهذا ما تلاحظه بوضوح في تلك التطبيقات الأدبية حول قصة «الربوة المسية» (La colline ensablée) لوالها مولود معمري كما سوف نتطرق إليه لاحقا عند تعريفنا لواقع النخبة البربرية في الجزائر.

3- العمل على تطوير القلم البربري وخاصة اللهجة القبائلية لتكون لغة منافسة للغة العربية ومشاركة مع الثقافة الفرنسية، بحيث توحى اهتمام دارسي البربريات في الجزائر إلى محاولة وضع قواعد للهجات البربرية العديدة في محاولة لضبط دلالاتها وتكوين قاموس لغوياتها، فاعتبرا بنشر مخطوط هاشور دو بارادي (Vernac de Paradis) حول قواعد ومفردات اللغة البربرية سنة 1811¹¹، وأحمد الصالح بروسنار (Ahmed Salih Broussard) نفسه لتضع قاموسا فرنسيا بربريا بالاستعانة بأحد المؤرخين السابقين سي سيدي أحمد بن الحاج علي¹²، وأحدث بمدرسة الآداب الجزائرية كورسي دراسة اللهجات البربرية سنة 1885¹³ شغفه سي الهاشمي بن سي لونيس، ثم عزيه سي السعيد الويلمة (1906)¹⁴ يقول في صرح شهادته الأولية في معرفة القبائل القبائلي يتلى الحاصل عنها عبارة مائة سيرة فيميتها 200 فرك وإعطاه شهادة عليا في اللهجات البربرية يقول التحصيل عليها حق لا تتجاوز بضعة سيرة حدود 500 فرك، كما أحدثت جوائز لشجعية عام 1887 لترغيب المؤلفين الفرنسيين في معرفة القبائلية¹⁵.

هذا وقد أدت هذه الجهود أكابها، فلم يشه القرن التاسع عشر حتى ظهرت العديد من الدراسات حول اللهجات البربرية خاصة القبائلية منها، فكانت متطلبا لعمل الجيل الثاني من دارسي البربريات (1900 - 1916)¹⁶ وهي مقدمتهم هنري ناسيه (H. Naset) صاحب الأطروحة الشهيرة حول الألف البربري (1910)¹⁷ وأيه أنري ناسيه (A. Naset) وديستنج (Destang) وهنري لاوست (H. Laoust) وبيارمي (Biarrey) وإدمون دوليه (Ed. Douli) وغيرهم، الأمر الذي وفر إشارا للدراسات البربرية التي سوف تقوم عليها المحاولات المتأخرة للباحثين والمهتمين بالثقافة البربرية في مركز أبحاث الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والإثنوجرافيا بالجزائر (C.R.A.P.E) ومدرسة اللغات الشرقية (E.L.O) التابعة لجامعة باريس الثامنة ومطير البحث العلمي (C.N.R.S) وإيكس إن بروفانس ومؤسسة الأكاديمية البربرية بباريس التي ظهرت سنة 1977.

ورغم تلك الجهود فإن الباحثين الفرنسيين في مجال الدراسات البربرية ومن اتبع بهم من الجزائريين أمثال مولود معمري (1977 - 1992) وسليم شاكور قد ظلوا هاجزين عن

التغلب على الصعوبات الجمة التي واجهتهم وحالت دون وضع قواعد محددة وقوانين عملية للهجات البربرية ولم تسمح لهم بالاتفاق حول حروف مشتركة بين اللهجات البربرية، وهذا ما أبهى التراث البربري بمختلف لهجاته ثقافة شقوية غير فائزة على تجاوز اللغة العربية أو مناهضة اللغة الفرنسية، ولعل أهم تلك المواقف تكمن في تعدد اللهجات البربرية من حيث النطق والدلالة المعنوية واعتماد بيئاتها جغرافيا عن بعضها البعض وتراجعها أمام اللغة العربية الدارجة في كثير من الجهات بفعل عملية التعريب الذاتي التي تعيشها مجتمعات شمال إفريقيا منذ القرن التاسع عشر، وهذا ما لاحظته غوتيه في تقريره الذي وضعه بطلب من الإدارة الفرنسية سنة 1910¹³، والذي كان منار هلق السلطات الفرنسية،

كل هذه الظروف والأوضاع جعلت المهتمين والدارسين للبربريات من ذوي الثقافة الفرنسية يستعملون الفرنسية وسيلة لتعليم اللهجات البربرية وأداة للتعبير عن الثقافة الشقوية التي تحملها، الأمر الذي عمق ظاهرة التفرس بين دعام البربرية أنفسهم، ولم يسمح بظهور إنتاج أدبي مكتوب وقابل للتطور مثل اللهجات، وذلك طغت الدراسة البربرية عاجزة عن ملء الفضاء الثقافي في الجزائر الذي احتلته العربية على المستوى الشعبي والفرنسية على مستوى النخبة، وهذا ما دفع دعام البربرية في الجزائر بعد توسع عملية التعريب الرسمي من طريق المدرسة إلى اعتبار اللغة الفرنسية اللسان الأخير الذي يتكلمون في الأماكن في محيطهم، فيه اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

لقد أصبح هذا الوضع الذي تعيشه اللهجات البربرية اليوم ميمنة لدعام البربرية، فبعد أن ناقشوا ميادها من أجل مطلب اعتبار اللغة الأمازيغية لغة وطنية قابلة للاستعمال والتدريس بجانب العربية وبدأوا أنفسهم عابزين أمام دعامها متعددة غير موحدة في مفرداتها وحروف كتابتها، فكل مجموعة بربرية متمسكة بلهجتها ولا ترضى بالتنازل عنها لفائدة لهجة أخرى كما أوضح ذلك الكاتب القبري رشيد إدريسي¹⁴، وهذا ما أثاره ملتقى اللغة البربرية المنعقد بفراداية (26-27 أبريل 1991)، وشكل لدراسة ثلاث لجان إحصاءا تظهر في المعاجم والقواميس والأشعر في المعطيات التاريخية والثالثة في مسألة الكتابة والنطق دون أن نقضي إلى نتيجة، مما جعل إحدى الحزائن الجزائرية تعلق على الملتقى بأنه «اتصاف كبير لأقلية لا تفهم بعضها لاختلاف لهجاتها»¹⁵.

والحقيقة أنه لا يمكن إيجاد حل لهذه الوضعية إلا بالإجابة عن العديد من الأسئلة التي لم تجد جوابا مقنعا حتى الآن، ولعل أكثرها إلحاحا على دارسي البربريات هذه التساؤلات:

- كيف يمكن توحيد اللهجات البربرية في لغة أمازيغية واحدة، وكتابتها بحروف متعارف عليها ومتفق عليها؟

الهجاء البربري مع الزوايا

- ما اللهجة النجدة لأن تكون منطوقا لذلك، وما نوعية الحروف التي يمكن أن يتفق عليها الجميع؟ وما المدى الزمني الذي يسمح بتطور إحدى اللهجات البربرية لتصل إلى مستوى منافسة العربية وتعويض اللغة الفرنسية؟
- وهل من الممكن تظهير الفرنسية في الفضاء الثقافي للجزائر لفائدة الأمازيغية وليس على حساب العربية؟
- وكيف يكون التعامل مع الثقافة العربية المرتبطة بالثقافة الإسلامية والمنسجمة بالبعد الوطني والتي تعرف توسعا وتطورا ملحوظا، لا يمكن إغفاله لصالح ثقافة أخرى أو لغة منافسة معها كانت محبها ومنطقتها ومواقفها؟

ج- في الفعل الجزائري هل السياسة البربرية لفرنسا

- لم تحقق الإدارة الفرنسية في الجزائر ما كانت تأمله من تقسيم السكان وتصنيفهم إلى قبائل وعرب، كما لم يتبع دعاة البربرية من الوطنيين والمصلحين والسياسيين الفرنسيين - وهم - هيدا كانوا يسمون إليه من حق وضع شعبي وانعما في بلاد القبائل قائم على تكوين هوية بربرية معادية للعربية ومتحسسة من الإسلام ومقتضية للغة والثقافة الفرنسية. إذ اعتبرت غالبية سكان بلاد القبائل عن معارضة دعاة البربرية هيدا كدعاة للفساد.
- وقد كان الفضل في فشل السياسة البربرية الفرنسية في بلاد القبائل يعود أساسا إلى نشاط زوايا بلاد القبائل ودعاة الإصلاح من رجال زوايا الذين سجلوا صفحات طائفة في الدفاع عن هوية الجزائر لا تقل عن تلك التضحيات التي بذلوها في مواجعة التوسع الفرنسي ببلاد القبائل في منتصف القرن التاسع عشر.
- لقد وقفت زوايا بلاد القبائل سدا منيعا أمام دعاة السياسة البربرية، فكانت بحق - الخط الدفاعي المتقدم عن شطرنج الشعب الجزائري الذي نجحت عليه المحاولات الأولى للفرنسية - والتصميم المشهور بالتمدد التصوري للعربية والإسلام. فكانت زوايا بلاد القبائل التي نافذ عندها الأبردين وهي مكناسية زوايا سيدي عبد الرحمن البواقي وسيدي علي بن الشريف وسيدي منصور وسيدي محمد بوقريش بايت إسماعيل وسيدي علي بن موسى وسيدي علي فوقاني وسيدي أحمد بن إدريس والشيوخ اعراب والأولاد مصباح وسعدي وناظرو وشي وزنقان وغيرها¹⁴.
- هذه حافظت هذه الزوايا على التقاليد الشعبية التي نقر بأن البربر أصولهم عربية وأن قسما منهم من ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة والمؤثرين في الرأي العام هم من العرب الشرفاء. كما كانت هذه الزوايا أيضا مشتتة لتخريج حفظة القرآن العظيم الذين انتشروا في أنحاء الجزائر كلها يعلمون القرآن في الكتاتيب ويحافظون على العبادات يديون إلى الأخلاق السامية في المجتمع الجزائري الذي انتشرت فيه أئذ ذلك الأمية وهم الفخر والشفا.

ومن زوايا بلاد القبائل رفعت المرافض الأولى التي تستلزم استبدال أحكام العرف القبائلي بأحكام الشرع. ومنها تلك المرفضة التي وجهها جمع من شيوخ القبائل إلى الإدارة الفرنسية يستذكرون فيها اعتماد العرف المحلي المعروف بـ « القانون القبلي » لنطقهم ويطالبون بالرجوع إلى الشريعة الإسلامية. وهذا ما علق عليه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بقوله: « إن عريضة رجال زواوة الطائفة بإلغاء القوانين المحلية الخاصة بالأحوال الشخصية ... احتشدت القوس من أسلحة، وأقامت الدليل على القصور في التطواهر على أن زواوة معقل من معقل الإسلام والعروبة، كانت ولا زالت، وأكرم بأصحاب الزوايا حين ينتصرون للدين هذا الانتصار، صوتنا مع صوتكم، ورائنا مع رائتكم في الرجوع إلى الأصل وهو حكم الشرع الإسلامي^(١٢٦) ».

ولقد تعززت جهود الزوايا في المحافظة على الشخصية الإسلامية ببلاد القبائل بنشاط الحركة الإسلامية في الجزائر المتمثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٢٦ - ١٩٥٦) إذ نبع، إلى آثار المخطط الفرنسي بمنطقة القبائل أحد رواد جمعية العلماء وهو أحمد توفيق المدني في مطبع ثلاثينيات (١٩٣٣) بتولته ... نشر بلاد الجزائر المسماة ببلاد القبائل الكبرى وهم يمثلون الكتلة البربرية المطيعة ببلاد الجزائر ... أصبحت العربية فيهم ضعيفة جدا. والتعليم العربي الذي أصبح شيعا ضئيلا رغم استمرار مفعله الكبرى (الزوايا)، والمدارس اللاتينية تحت الحماية (المونسي) هذه ... مسورة منسجمة منسجمة النظم بالقطر الجزائري، ورجال التشييع حثوا هناك رجالهم وتشبهوا بدراهم الدين والبنات ... والتي وإن كنت كثير التفوق بمستند الإسلام في الجزائر فري الإيمان بالهوية العربية الإسلامية الحديثة، فإني أفتي على هذا القسم من بلاد الوطن أن تعيد به الأيدي، وأن ينفعه خيل اتحاد مع بقية البلاد ... فأرى تلك الناحية يجب أن تلتزم أنظار الفكرين والعلماء المسلمين^(١٢٧). ولم يفت الشيوخ البشير الإبراهيمي كذلك فطرح المخطط الفرنسي ببلاد القبائل عندما علق على الإجراءات الفرنسية ضد الأحكام الإسلامية بقوله: « ... إن الحكم بالمعائد مطلب عزيز من مطلب الاستعمار الفرنسي. زوج بنوره في أرض زواوة، وتعهدها بالنسبي والعلاج. فبانت تمكن المعائد وجعلها أساسا لأحكام وإبعاد طوائف المسلمين عن الإسلام بالتفريق، حتى تضعف التربة الدينية وعاطفة النأخي الإسلامي، وتعتبر الأمة الواحدة امتين وأما^(١٢٨) ».

وبالفعل لم يتردد الرجل الأول من رجال الإصلاح من أبناء منطقة القبائل عن مواجهة السياسة البربرية بالمنطقة، فتحصوا في إنشاء ثلاثين مدرسة ملكت تعلم النشء اللغة العربية والفقه الإسلامي حتى عام ١٩٥٦. كما دأبوا على توعية العامة وتنظيم حلقات الوصف والإرشاد في المساجد. واستطاعوا أن يكرسوا خلاص من الشباب متمسكة بالإسلام ومعتزة بالثقافة العربية، ومن هؤلاء الرجال الذين خدموا الجزائر في صمت وكسروا حياتهم لخدمة الإسلام في الجزائر نذكر على سبيل المثال السعيد بن زكري (ت. ١٩٣٠) وأزفي الشرفاوي (ت. ١٩٦٥) وأبو بعل

الجماعة الجزائرية مع الزواوي

الزواوي (ت. 1967) والولود الحافظي والفضيل الورتلاني ويحيى حمودي الورتلاني والهادي الزروقي وعلي أولخير الواقوني والصالح عيسات وحسن حموش والعربي عيسى المصمودي والسعيد البهلوي الورتلاني وعبد الله شريف أوشاش والسعيد بن عمر القزواوي والشيخ سحنون أمقران والشيخ عبد الرحمن شيبان وإسماعيل العري وكثيرون غيرهم.¹

وكان الدافع لرحال الإصلاح ببلاد القبائل خدمة الدين والوطن والدفاع عن بيضة الإسلام المتهددة الجناح، وقد عبر عن ذلك الشيخ سعيد بن عمر القزواوي في خطبته بتاريخ الترفي بالجزائر العاصمة في أثناء انعقاد مؤتمر جمعية العلماء (1975) بهذه العبارة: «... لما أراد بنا الله التعميد سلك بنا والحمد لله والشكر له سبيل الرشاد والطريق الجادة الصحيحة، ألا وهي ما ندعو جمعية العلماء إليه... تلك الجمعية جمعية أيقظتنا... يا أيها الأمة الجزائرية المسكونة الطافدة لمجدها الضالة في معيها الخاملة العلية: هلمي إلى دواء نافع وشراب عذب نافع... ما عليه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وسلكه السلف الصالح. تقويز بخير الدنيا وسعادة الآخرة»².

وقد اتخذت جمعية العلماء مؤلفا صريحا من السياسة البربرية للإدارة الفرنسية عندما حددت شعار مشروعيها الإصلاح في العمل على الدفاع عن ثوابت الدين واكفلة والوطن في عبارة: «الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا» والذي خلفه الإمام عبد الحميد بن باديس في قصيدته المشهورة التي منتهى:

شعب الجزائر سطر وإلى العروبة ينسب
من قال حلا عن اجته لو قال مات فقد كذب³

وأكدته شهادة الشيخ البشير الإبراهيمي عن عروبة البربر بقوله: «... إن القبائل مسلمون عرب وكتلهم القرآن يقرأونه بالعربية، ولا يرضون بديتهم ولا بلغتهم بدلا. ولكن الظالم لا يفتلون...»⁴.

وتعززت جهود جمعية العلماء المسلمين بالنشاط السياسي لمنظمة النجم (E.N.A.) (1975 - 1977) وحزب الشعب (P.P.A.) (1977-1976) وحركة انصار الحريات الديمقراطية (M.T.L.D.) (1961 - 1961) التي تبنت منذ إنشائها عن المأثور الشعبي (1977) مبدأ المقاومة السياسية من أجل استرجاع السيادة الوطنية القائمة على الثوابت الحضارية للشعب الجزائري المتمثلة في العقيدة الإسلامية واللغة العربية، واعتبر التيار الاستقلالي في الحركة الوطنية الجزائرية أن من أولى مهامه المطالبة بتعليم العربية تعليما إجباريا، فأقرها برنامجها الأساسي (1977)⁵ ولم يتوان عن إنشاء المدارس على غرار جمعية العلماء التعليم العربية. ولم يتروك في التشهير والتهميد بالشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر القائم على فكرة تقسيم الجزائريين وتزييق صفوفهم. وقد أكد هذا التوجه أحد المناضلين في حزب الشعب

الشاعر المبدع مفدي زكريا أحد أبناء الثورة عندما حدد أهداف النضال السياسي لأبناء المغرب العربي في خطابه بتونس عام 1971 في عبارته الشهيرة: «الإسلام ديننا وشمال إفريقيا وطننا والعربية لغتنا»¹³⁴.

والعل في خطبة مصالي الحاج في 2 أغسطس 1926 - ردا على مطالب المؤتمر الإسلامي التي سلّمت بعدها اندماج الجزائر في فرنسا - ما يوضح نمسك الحركة السياسية الوطنية الجزائرية المتمسكة في منظمة النجم وحزب الشعب ثلاث الشعب الجزائري، فقد جاء في هذه الخطبة الشهيرة لمصالي في جموع المتحمسون في الكعب اليلدي لمدنة الجزائر (الغناصر) ما يلي: «احتراما للثالثا الوطنية اللغة العربية والتي كفا نعتز بها ونعجب بها... وايضا تقديرنا لنبل هذا الشعب الجزائري الشجاع الكريم... فقد اردت ان اعبر امامكم بعد نفي دام اثني عشرة سنة بلفظي الأمة»¹³⁵.

وقد كان لحزب الشعب وحركة اقتصاد الحريات الديمقراطية بزعامة مصالي الحاج دور مهم في وضع حد لتسلط دولة البربرية الذي نسلوا إلى خلافة العرب وتحكموا في أجهزته. بفرنسا خاصة، فيما صوف يستمره لاحقا بعد ترميمه لأزمة البربرية لحزب الشعب منفي 1968 و 1969. كما كان للمدلس الوطني من الفيدل دور أساسي في فضح دساتير دولة البربرية والتفوية إلى مخاطر السياسة البربرية للإدارة الموحدة ومطويع الوطني المناضل عمار أوزيغان الذي فضح أيضا هذه المخطط لتزوير في الخطبة الفرنسية عروبي-بربري عند الاستعمارين تعبر عن فكرة العدم من بين التمييز والتفريق والتفريق، وألحذا فإن مبدأ التزاوة البربرية هو التجربة الاستعمارية الذي يقدم في شكل حقائق قاتكة معارضة للعرب¹³⁶.

هذا وقد أصبحت الثورة الجزائرية النضال ضد ميمنة المارقة الاستعمارية المتعنتة في المسألة البربرية. فتجسدت في توحيد الشعب الجزائري والقضاء على الرواسب الاستعمارية ولو ظاهريا، واستطاعت أن تستقطب العناصر الجيدة والطاعة في المجتمع وأن تحيد الخطبة البربرية وأن تجتذب أفضل عناصرها لتجنيدها في المشروع التحرري انطلاقا من نداء أول نوفمبر الذي حدد عقليته الأول في العمل من أجل إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة في إطار المبادئ الإسلامية¹³⁷.

كقد كان لرجال منطقة القبائل مساهمة معتبرة ودور أساسي في الثورة التحريرية، وهذا ما جعل الفرنسيين ينسبون ما كانوا يخططون له ليقطبوا على القبائل ويعملوا عليهم قتلا وتدمير¹³⁸، وللقناويج، فإن جهود رجال الثورة ببلاد القبائل كانت واحدة في إسقاط المشروع الاستعماري وفي رص صفوف الشعب الجزائري، فاعتبر هؤلاء المجاهدون أن أي دعوة لتفريق الصفوف بمنزلة خيانة للوطن. كما عرف عن كل من كريم بلقاسم ومحمدي المسعود وعبدروش آيت حمودة ومحمد ولد الحاج وعبد الرحمن ميرة ويوسف الهلالي وغيرهم كثيرون، وقد

السياسة البربرية في الجزائر

كانت جهود العقيد عمروش ذات بعد استراتيجي عندما صمم على تصفية الطابور الخامس في الولاية الثالثة وباتر نازمال وفرد الطلبة إلى المشرق لتكون إشارات تصاعد على إقامة دولة عصرية حرة ذات شخصية إسلامية وهوية عربية، وبالتفعل فقد عاد الكثير منهم بعد استكمال تعليمهم بالمشرق وساهموا في بناء مؤسسات الدولة الجزائرية وعملاً بجاهدين على المحافظة على هويتها العربية الإسلامية، منهم الأستاذ محمد الشريف طروبي ابن إحدى زوايا بلاد القبائل وتلميذ جمعية العلماء المسلمين والذي كان له شرف تطبيق برامج المدرسة الأساسية التي وضعت حدا لهيمنة اللغة الفرنسية على المدرسة الجزائرية ووجد التعليم واستكمل تعليمه، وهذا ما جعله عرضة لنقمة الأوساط الفرنسية التي شوهت بتصفية بثقافته العربية إلى حد وصفه بأنه كان يرفض التحدث بالقبائلية حتى مع معاصريه^(١٢).

كل هذه الجهود استطاعت إحباط المشروع الاستعماري القائم على السياسة البربرية بل أدت إلى نتائج مفككة له، فقد عمقت الروح الإسلامية وساعدت على انتشار اللغة العربية وتلاحم أفراد الشعب الجزائري قبائل وغير قبائل، وهذا ما استخلصه المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون في دراسته السياسية البربرية لمرحلة عندما اعتبر أن «السياسة البربرية لفرنسا في الجزائر كرس لها العشل إذ لم تعمل سوى على تقوية الجزائريين وتوحيدهم وتكاتفهم»^(١٣).

د- النتيجة البربرية بالجزائر

أثمرت جهود الإدارة الفرنسية ومساعدتي الضباط الفرنسيين في نقل الفكرة البربرية من أرواح الإدارة الفرنسية ومن مكاتب دواشي البربريات إلى شريحة من المثقفين الجزائريين للتفرنسين من بلاد القبائل^(١٤)، تخرج منهم من المدارس اللائكية والمؤسسات التبشيرية، وقد كان في طليعة هؤلاء المجموعة الأولى التي تكونت بمدرسة النظمين ببوزريعة (الجزائر) وشكلت ما يعرف بتعليم الفرنسية القبائل (Instituteurs) (Rabyles)، ومنهم حسين لحيق وفرعون والسعيد بوابية وفرياني والشريف بن حبيلس ومن سديرة وغيرهم ممن وجدوا في مشرة التعليم الأهلي، (Bulletin de l'enseignement des indigènes) سيرا يعيرون فيه عن مواقفهم وقضاعاتهم، ولم تلبث أن تفرزت صفوف هذه المجموعات مع لعرج أعداد كثيرة من مثقفي الفكرة البربرية من طلاب المدارس الثانوية وخريجي جامعة الجزائر وبعض الجامعات الفرنسية، فأصبحوا مع نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) يشكلون نخبة ذات ميول بربرية فرضت حضورها ببلاد القبائل وتأثيرها في أوساط المهاجرين القبائل بفرنسا.

ومع هذا التطور ظل تأثير النخبة البربرية محدودا في فترة ما بين الحربين (١٩١٩ - ١٩٣٩) بعد أن رأى فيها سكان القبائل مجرد مجموعة من الأفراد القنطريين المصطبغين

بالتقافة الفرنسية والتشجيعين لها. ومما زاد في عزلة هذه الجماعة الفرانكوفونية (If-rançophones) ذات النزعة البربرية تأثيرها بالحركة النيشيورية وتقبلها لفكرة التجنس وإيمانها الأعلى بالبلدات اللاتينية والقيم العثمانية ومزجها بين تعجيد الناضي البربري والواقع الاستعماري الفرنسي وارتباط تصوروا للهوية البربرية بالنزعة الفرانكوفونية، على أن هذه النخبة رغم ابتعادها عن أوساط الشعب فإنها وجدت الترحيب والتتويه من الفرنسيين الذين اعتبروا ظهورها تكريسا لتبجح السياسة الفرنسية الجديدة بالجزائر القائمة على تكوين نخبة تمثل الطبقة الوسطى وترتبط بالخدمات التعليمية والاجتماعية، وبدأ الحديث في وسائل الإعلام الفرنسية بما أطلقوا عليه تسمية «المجزرة القبائلية» (Massacre Maltais) التي انتهت من جهود العلم القبائلي (Maître d'école) المعروف محليا بـ المهد وكول، من أبناء بني بني وتيزي وأشد، واعتبروا أن السياسة الفرنسية في الجزائر سوف تعدد معالم المستقبل وتتحكم في توجه الجزائر⁽¹⁾.

لكن التطورات التي عرفتها الجزائر من خلال مشاتل الحركة الوطنية السياسية والإصلاحية لم تسمح لمطوري السياسة البربرية، من الفرنسيين ومن تأثيرهم، بأن يحتفظوا ما كانوا يأملونه بعد أن عجزوا عن نشر أفكارهم بين سكان بلاد القبائل ولم يستطيعوا الحد من تأثير النزوات ودعوة جمعية العلماء لتسليم الجزائر لفرنس ومطالبة تنظيم النجم وبمدها حزب للشعب، فلم يجدوا بدا من الانسواء على أنفسهم مع التحدث بأفكارهم التي تحاولت مع الوقت أن تتألف إيديولوجية غير قائمة للمراعاة وأفكار من قبل التسلطات التي لا تقبل النقاش، هي وإن كانت في مجملها تغير عن المبادئ التي قامت عليها سياسة فرنسا البربرية إلا أنها صبحت تهدف إلى بلورة موقف متميز معاد للثوابت الشعب الجزائري المتمثلة في أخوة الوطن عقيدة الإسلام وثقافته، ويمكن تحديد أفكار ومبادئ الدعوة البربرية كما تمثلتها النخبة البربرية في النقاط التالية:

1- اتخذ دعاة البربرية مبدأ معاديا للثقافة العربية باعتبارها عوامل عدم الهوية البربرية طمس للتراث البربري، وقد أدى بهم هذا الموقف إلى حد تجاهل الناضي الإسلامي للجزائر ورجالته وإثرائه ومساهمته وفهمهم ذلك إلى القيام بعملية عنائية ضد اللغة العربية التي صبحت محل تشهير وسخرية واعتبرت في نظريهم عنوان لآخر ورجعية، فضلا عن كونها لغة غزاة ووسيلة قمع وحذف تعارض ضد الطفل القبائلي الذي يرضى عليه تعليمها في المدارس. وقد ذهب نحواسن معنوطي، وهو من خلاة النزعة البربرية، إلى حد اعتبار اللغة العربية لغتين، لغة ميتة، ليس لها سوى القليل من الحيوية، وهي عاجزة عن تكوين مجموعة لغوية متكاملة مثل اللاتينية عند الشعوب المسيحية، ولغة حديثة، استطاعتها الصحافة في المشرق وهي لغة مجهولة لدى سكان شمال أفريقيا الذين قد لا يعرفون مفردة واحدة من ألف كلمة منها. حسب

العلاقة العربية مع الجزائر

(عصيم)¹، وفي هذا التوجه العادي للثقافة العربية توصل فريق الدراسات البربرية بفانسان (فرنسا) بالدمغة البربرية إلى قناعة مفادها: «إن اللغة الأم في الجزائر هي العربية الدارجة والقبائلية والثقافة الحقيقية الجديرة بالاعتناء هي الثقافة الشفوية وإن اللغة العربية الفصحى لغة دخيلة أو مستوردة، وهي في حقيقتها لغة ميتة لم غربية عن المجتمع الجزائري، وليس لها أي صلة بالعربية الدارجة، لأنها تمثل ثقافة بورجوازية مهيمنة ومكرسة للانفصال الاجتماعي والتميز الطبقي. وهذا ما يجعلها تعبر عن الطبقات المهيمنة في المجتمع»².

وهذا الموقف من العربية يثير دعاة البربرية طروحات الشيوعيين الفرنسيين، فعند ظهور الحزب الشيوعي الفرنسي (1920)، اتخذ الشيوعيون موقفا معاديا للغة العربية لا يصيب سوى لأنها لغة القروا وحاضنة الفكر الإسلامي والقيم الدينية، مما يكسبها قداسة وبعدا روحيا يتنافى في نظرهم والأفكار التي يدعون إليها. ولهذا السبب دعا الحزب الشيوعيين إلى التحلي من العربية (الفصحى) وتبويضها بالعربية الدارجة والقبائلية والفرنسية باعتبارها اللغات الأم للطفل الجزائري العربي والقبائلي والفرنسي. وهذا ما أصبح يردد الكثيرون من المعادين للعربية ومنهم المفني القبائلي **ابدر الذي** اعتبر اللغة العربية أجنبية عنه محتجا على من يخالفه الرأي بقوله: «كيف أن أمي لا تفهم منارات الأحبار بالعربية الفصحى على شاطئ الكافريون الجزائري». وقد يقولون أيضا لغة جزائرية³.

2- اعتبار القبائلية لغة الجميع المأطرين بالفرنسية، جعلها في موقف شافى وهذا مع العربية: وقد انطلقوا من هذا الموقف الزامي إلى السطلي عن العربية وإحلال القبائلية مكانها - من مصلحة نصيحة العلماء - لغة والتسهيلات هي: أن ليس هناك فرق بين اللغة واللهجة وأن كل لهجة تقوم على الأصوات الكلامية وتعتمد على الاصطلاح والاتفاق الجماعي لتجموعة التي تتكلمها يمكن لها أن ترتقي من مستوى الكلام (الثقافة الشفوية) إلى التعبير عن حاجيات المجتمع ووظائفه الحيوية (اللغة المكتوبة) فيما يتعلق بالتفاهم والتعامل والتبادل. وبالتالي يمكن الارتقاء بشبان تطايط من لهجة إلى لغة ما دامت كل لغة كانت في أساسها لهجة، دون الأخذ بعين الاعتبار الواقع الثقافي ميلاد الغرب المتميز بتعدد اللهجات البربرية ويكون اللغة العربية أصبحت منذ قرون أداة تفاهم وسيلة تواصل بين الغالبية الساحقة من السكان. ولم يفت الأمر عند دعاة البربرية عند هذا بل ذهبوا إلى حد العمل على تصفية اللسان القبائلي من الألفاظ والمراكيب العربية وتبويضها بالفاظ مشتقة من الفرنسية أو موجودة باللهجة التوارق بحجة عدم تأثيرها بالعربية⁴. ولعل نفورهم من اعتماد نحية الإسلام (السلام عليكم) واستبدالها بعبارة «أزول فلاون» دليل على هذا التوجه. رغم أن عبارة تسلام عليكم شائعة في اللهجات البربرية الأخرى. كما أن تفضيل الحروف اللاتينية - الذي له صبغة لائكية مسيحية والتخلي عن حروف لغة الإسلام (العربية)

الذي استعمله البربر فديما بحجة عالمية الحروف اللاتيني وسهولة استعماله - لدليل أثر على الارتباط الوثيق لبعثة البربرية بالثقافة الغربية وعلى الرغبة التي تدفعهم لقطع الواسع الارتباط بالثقافة العربية والإسلامية.

٢- تفسير التاريخ وفهمه انطلاقا من الموقف المعادي للعاصي العربي الإسلامي للجزائر: بحجة ضرورة مصالحة الجزائر مع هويتها البربرية وعاصيتها الوثني - الذي يرمز إليه ماسينيما - وقيمها المسيحية التي يمثلها القديس أوغسطين، فعاولوا تعاضل الفترة الإسلامية من تاريخ الجزائر التي تبدأ بالفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي معطيين أحداثها غير معبرة عن طموحاتهم لارتباطها بالهوية العربية الإسلامية للجزائر، منتقذين من مكانة رجالها ومنزلة أبطالها من أمثال طارق بن زياد والناصر بن علناس وأبو زيد صاحب الحمار ويوسف بن تاشفين ومحمد بن تومرت وعبد المؤمن بن علي الكومي ويطمراسن وأبو حمو والشيخ العبداء والإمام عبد الحميد بن باديس وغيرهم. وأثروا القطر على الفتوحات الإسلامية بالجزائر ليتموا بتشحيصات البربرية لما قبل الإسلام أمثال ماسينيما وبومرمة وفاقفارياس والتكافلة وكسيلة، واعتبروهم رموزا للمقاومة الوطنية، وذهب بهم "العاصي" إلى حد استدلال أنه محمد ماسينيما وقاطعة بالكاهنة، فكانوا أشبه شي، بمن يكنى أبو ليغز بعدد وأبصر أنه لم يذكر جفته، بل انتهى بهم هذا التوجه إلى حد رفض تسمية المغرب العربي مع كونها مستقلةا ضالع الاستعمال بتجاوب وطموحات شعوب المنطقة غيرعبروها حناية من حشهم وإهانة الشططصينهم. فالغرب العربي عند نحواسن معشوقي "مخدعة ساذجة لا يصدقها من سكان شمال أفريقيا من له نرة من عقل، لكون هذا الشمال الأفريقي لم يكن الشرق العربي، بل كان دائما بعيدا عنه"^{٣٤}.

وفي هذا السياق كتب أحد دعاة البربرية يستنكر كلمة المغرب العربي: "بما لتخيرية القدر، بالرغم من كونه ليس عربيا لا عرقيا ولا ثقافيا من الأرمعة القابرة إلى اليوم... لا يتجاوز العنصر العربي بينهم النسبة القليلة جدا... وإن كان في المجال اللغوي هناك اختراق قوي للغة العربية التي نبتها أطلية بربر السهول والصحراء وكذلك الفن الكبير، فاليوم هناك خلط بين العربي والناطقين بالعربية، فبهما كانت أكثرية مناطقة الناطقين بالعربية فإن ذلك لا يعني كونهم بربرا أصلا بدليل تواجدهم على هذه الأرض منذ ما قبل التاريخ"^{٣٥}.

وتوازيا مع تقييمهم لـ "مغرب عربي"، نادوا بـ "شمال أفريقي بربري" تجاوزا الواقع العربي ورجوعا إلى أصله البربري وطرحوا فكرة "الرائطة البربرية" (Pasterberrure) التي روحت لها، هي المستنبتات (١٩٦٠ - ١٩٧٠)، الأكاديمية البربرية بباريس ووضعت لها اسما مستحددا

المسألة البربرية في الجزائر

«تتميز بها» على اعتبار أن القضاء البربري يعتد من سيده بصحراء مصر الغربية إلى جمل «الغادات» (الكثاري) في المحيط الأطلسي، وبذلك أدى التصوير التاريخي للمسألة البربرية إلى تجاوز الحدود الأصلية لدول المغرب إلى بعد جهوي يشمل شمال القارة الأفريقية¹⁷، متجاهلين كل منكرين للثلاثية البشرية والتواصل العضائري بين المشرق العربي وبلاد المغرب منذ أقدم العصور وحتى الآن.

1- الارتباط بشيم الثقافة الغربية: ففي سمعهم من أجل إحياء الثقة البربرية والحفاظ عليها واستثمارها وتعليمها، حرصوا على رفع شعارات المواطنة واللائكية والديمقراطية ورفضوا دوتهم بالفهم اللاتيني وحقوق الإنسان وحق الاختلاف التي اعتبروها من الشروط الضرورية التي تسمح لهم بتطوير شخصيتهم وإحياء ثقافتهم بعيدا عن تأثير الإسلام والغربة. وهذا ما نادى به أحد دعاة البربرية ودارسها وهو الأستاذ سليم شاكور الذي يرى أن حل المسألة البربرية في الجزائر وكذلك في المغرب الأقصى يقتضي تطورا ديموقراطيا¹⁸، وصرح به حينئذ أحمد علما اعتد أن أحداث الشاغل (الربيع البربري، 1980) لحظة من لحظات الحقيقة التي أظهر فيها الشعب القبائلي أن حقوق الإنسان هي أولا أن يكون إنسانا وأن يناضل من أجل الديمقراطية، مختلف المحافظة على البربرية أهم الجزائريين أكثر بأن الرهان هو الديموقراطية كحثة قيسية و ثقافية¹⁹.

وفي هذا المجال يذكر لنا أن خلاصة العمل العلمي الصادر لخدمة الثقافة البربرية ظل متواضعا بالنسبة للشباب الدخالي والعمل السياسي المرتبط به، فإذا استثنينا بعض المحاولات التي تدخل في نطاق البحث اللغوي والدراسات اللغوية لدارسي البربريات في الجزائر، فإن الإنتاج الحقيقي لدعاة البربرية كان موجها في أساسه لخدمة الثقافة الفرنسية وتحرير مكانة اللغة الفرنسية، والعمل نشاط كل من مولود مصعري (مت، 1987) وكاتب ياسين يوضح لنا مدى ارتباط الدعوة البربرية بالثقافة الفرنسية، فكاتب ياسين الذي تحول من مؤلف وطني متمسك بالعربية والإسلام في شبابه المبكر كما عبر عنه في محاضراته الشهيرة «حول الأمير عبد القادر الجزائري» بياريس سنة 1967²⁰، إلى عداء صريح لكل ما ينتمي إلى العربية والإسلام بفعل تأثير باستاذ الفرنسي للتاريخ والجغرافيا، وهذا ما جعله يتبنى طروحاتهم فيما بعد، فلم يعد يفرق بين الاستعمار الفرنسي والانتداب العربي الإسلامي في روايته الشهيرة «جرب التي عام» و«يا محمد طح حطيرتلك»، وهذا ما صرح به مجلة جون أفريك بقوله: «... كما ثرت ضد الجزائر الفرنسية، أثر الهجوم ضد جزائر إسلامية، إنهم (أي دعاة البربرية والإسلام) يكيلون شعبنا بواسطة الدين واللغة، أنا لست عربيا ولا مسلما أنا جزائري»²¹، كما أصبح يرى في تعليم اللغة العربية انقطاعا عن الأصول وتكريسا للضماع، وهذا ما عبر عنه في مجلة «نجم» (Nedma) عندما وصفه

إحساسه هي المدرسة ونشرته إلى الحياة بقولته: «لقد ظل إحساسي بالقطرعة، حتى أيام النجاح في الدراسة، يمتلكني ويهزني ويشعمني بالانقطاع عن أصوالي، إنه ذلك الإحساس بالنفي والانحتراب الداخلي الذي لا يقرب أبداً الواحد إلى أمه، بل ينزعه ويبعده عن كل صلة دموية بأصوله، ويشعره بالهالة من جراء الإبعاد وحرماته من لفته... وبذلك فقدت كل شيء، ضيعت أمي ولقني، إنها الكثر الذي لا يقبل الفساد ومع ذلك فقد أحسدتهم»^{٣٢٤}.

أما الكاتب مولود معمري الذي اشتهر بأدبه الفرنسي الرفيع وبمقاومته المستميت من الثقافة البربرية وعمله المؤلف لتدوين تراثها بالحرف اللاتيني خاصة عند توليه إدارة مركز أبحاث الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والإثنوجرافيا بالجزائر (C.R.A.P.E.) أو إنشاء شؤنيته للثقافة البربرية بجامعة الجزائر وخاصة ما عبر عنه في روايته «البرودة النسبية» (La collée relative) التي لا نجد أحسن تعبير عنها من تعليقات النقاد الفرنسيين عند صدورها بباريس سنة 1967. فقد كتب عنها الناقد الفرنسي روني هاقون (Rony Haqon): «إن التجاوب العميق الذي شعرنا به مع هذه القصة «البرودة النسبية» المنبثقة عن المواقف القبائلية، إن دل على شيء فإنما يدل على أواصر القراءة الفكرية التي تربط الشخص الفرنسي والقبائلي، وهذا الأمر ليس مستغرب لدى من يعرف ما يمكن أن تنقل عنه العقيدة البربرية من **روائع خاصة إذا** تمكنت في ذات اللغة الفرنسية»^{٣٢٥}. كما علق عليها الكاتب الفرنسي موريس موليه بهذه العبارات: «ليس أمي مولود معمري إلا أن يظل وفيها لأصله القبائلي، وقد نزل من مغرب اللغة الفرنسية حتى راح فيها، وقد مر بمرح عما خلفه أجداده الأولون»^{٣٢٦}. كل هذا ما يصفه نوكد، على ضوء الحقائق المتوفرة، أن جهد دعاة البربرية في الجزائر من أجل البربرية يعتبر متواصلاً بل حاصلاً بالنسبة إلى ما ساهموا به من إنتاج علمي سوف يظل رافداً لحيا الثقافة الفرنسية وخاصة في مجالات الإثنوجرافيا والأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والثقافات الشعبية والقولكلور المحلي، ولعل أوضح دليل على ذلك تصحيح أعداد دائرة المعارف البربرية، (Encyclopédie berbère)، والرجوع إلى الدراسات التي ينشرها لمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي (C.N.R.S.) في «جسوليت شمعال إفريقيا» (Annuaire de l'Afrique du Nord) والإطلاع على المنشريات البربرية الصادرة بفرنسا مثل نشرة «الربيع» (Tahall) ونجمة (Néjma) وغيرها.

٥ - نشاط الحركة البربرية في الجزائر (١٩٤٨ - ٢٠٠٣)

عرفت الجزائر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية (1945) أحداثاً سياسية مهمة وتطورات اجتماعية وثقافية خطيرة ساعدت في ذات النزعة البربرية على أن تخرج من عزلتها وتحاول فرض وجودها في الساحة الجزائرية بكسب المؤيدين لها في بلاد القبائل وهي أوساط المهاجرين في فرنسا، وتتضمن هذه الأحداث والتطورات في النقاط التالية:

السياسة العربية في الجزائر

١- انتشار التعليم الفرنسي في الجزائر وتعمق الثقافة الغربية في أوساط المتعلمين وتزايد أعداد أتباعها تحرير إلى فرنسا، وخاصة من بلاد القبائل حيث أصبحت الفرنسية والهجرة إلى فرنسا من الظواهر المؤثرة في المجتمع المحلي، وهذا ما ساعد على ظهور جيل جديد من الشباب البعيد عن التقاليد القروية والقيم الموروثة عن الثقافة العربية الإسلامية، فأصبح جل الشباب المتعلم والمتخرج من المدارس الفرنسية مفعجا بالأفكار الأوروبية وخاصة منها الليبرالية الشيوعية الداعية للقناعات الشعبية والمعارضة للثوابت الحضارية للشعب الجزائري، هائل الشعب الجزائري في رأي الشيوعيين حسب تعبير زعيمهم موريث طويريز (Maurice Thorez) «مجرد مجموعات من الفرنسيين والعرب واليهود... يصعد التكوين تاريخيا ليصبحوا أمة بفضل جهود الجمهورية الفرنسية»^(١).

٢- انشغال الحركة الوطنية الجزائرية بمساعيها السواسية (حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية)، والإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) بمواجهة الواقع الاستعماري الفرنسي المتحضر وما يفرسه من تحديات، فأصبح ماضو الحركة الوطنية من الطوائف في أفكار دعاة اليسارية وانحصر ما أسبقها من أساليب الاستعمار، فلم يروا فائدة في طرحها للنقاش وأثروا لاعتبار مبدأ «الأكفاء بمعرفة ذاتية كمتعلمين حتى لا تؤثر في وحدة الصف وتتحول إلى أداة فريقة بنفسه في يد الأعداء الاستعمارية الفرنسية، وهذا ما سمح لدعاة الليبرالية بحرية التصرف والدخول في التسلل إلى خلايا حزب الشعب.

٣- الاعتماد الذي وصل إليه التيار الاستقلالي في الحركة الوطنية يجعل رفض الفرنسيين الاستجابة إلى دماء المطالب الجزائري، الأمر الذي أدى إلى الزعة في صفوف حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية تعقدت مع أحداث الثامن ماي ١٩٥٥ الدعوة بعد أن تخلى الحزب عن المناضلين المجندين في المنظمة السرية للحزب بعد اكتشافها (١٩٥١)، وهذا ما أدى إلى حدوث شقاق بين المناصرين للزعيم مصالي الحاج والمساندين للجنة المركزية للحزب (١٩٥٢)، وقد تعمق هذا الانشقاق بفضل تراجع الجيل الأول من المناضلين المصاليين الذي يمتلك مصالي الحاج ووصول الجيل الثاني من المناضلين ذوي الثقافة الفرنسية، مما خلق اضطرابا في أوساط المناضلين الأمر الذي ساعد دعاة الليبرالية على التسلل إلى الحزب والموقع في أماكن المسؤولية وتعهد الزعماء لأفكارهم في أوساط النخبة المثقفة الليبرالية واليسارية، والعمل على تحويل اتجاهه وجعله وسيلة لنشر أفكارهم وفرض طموحاتهم.

٤- انعكاسات كارثة فلسطين على الثنائي العام الجزائري (١٩٤٨) التي عرقلت الدعابة الفرنسية كيف تستغلها للإيمان في إهانة العرب ووصفهم بالحين أمام الأمة العربية اليهودية وذلك بهدف إبعاد الجزائريين عن التعامل مع إخوانهم العرب في الشرق وجعلهم

يشككون في مدى جدية الانتساب إلى أمة العرب، وهذا ما أثار التساؤل والحيرة لدى كثير من مناضلي الحركة الوطنية الجزائرية وسمح لدعاة البربرية أن يجاهرُوا بكون الجزائري ليست عربية ولا شرفية وإنما هي بربرية، وسمح للعناصر البربرية التدمية في حزب الشعب بأن تصب نفعتها على قيادة الحزب المتتزمة بالنوايا الحضارية للشعب الجزائري بحجة أنها: «لم تحدد استراتيجيتها على ضوء الحقائق (أي الواقع البربري) وإنما فضلت الهروب نحو سراب الشرق حتى أصبح - حسب قولهم - خلق دقن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية عدداً سياسياً ٣٤».

سمحت هذه الظروف والتطورات التي عرفتها الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية للجيل الثاني من دعاة البربرية التلصق بالثقافة الفرنسية والمثائر بالأفكار اليسارية، أن يتجاوز عقدة الجيل الأول الذي ظلت لديه النزعة البربرية شائعة ذاتية وموقفاً شخصياً، فعاول الظهور على مسرح الأحداث والندوة إلى الأفكار التي تقوم عليها المسألة البربرية، في محاولة لكسب الانتصار ولتكوين رأي عام يبلاد القبائل يتعاضد معه. فتوجه اهتمامهم نحو التنظيم السياسي للحركة الوطنية الجزائرية (حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية) لعدايتها والحضورية القوي في أوساط المهاجرين القبائل في فرنسا. ولكونه أفضل وسيلة للإشغاف التشريعية على الحركة البربرية وإبعادها عن بلادها ومثليتها بالجزائر على ارتباط الفكرة البربرية بالمشروع الاستعماري الفرنسي بالجزائر الذي سطر لها وزناً واسعاً وساعدها على النمو والتطور كما سبق التعرض إلى ذلك.

وفي إطار هذا التوجه عبرت الحركة البربرية بعد الحرب العالمية الثانية عن نفسها من خلال ثلاثة أحداث غاية في الأهمية بالنسبة لتوجهات الجزائر حالياً ومواقفها مستقبلاً. أولها: «الأزمة البربرية لحزب الشعب الجزائري (١٩٤٨ - ١٩٤٩)» التي انطقت طابعاً سياسياً كان أن يكون له تأثير سلبي على المشروع التحرري الجزائري. وثانيها: أحداث عام ١٩٨٠ المعروفة بـ «الربيع البربري» ذات الصبغة الثقافية التي عرقلت الملف الثقافي الجزائري وساهمت في العيولة دون وصول الجزائر إلى مرحلة السيادة الثقافية. وثالثها: «حركة المروش» الحالية (٢٠٠١) والتي رفعت شعار المواطنة وانطقت مظهراً أثر على واقع بلاد القبائل قد يكون له انعكاس سلبي على بنية الشعب الجزائري وهويته العربية الإسلامية، كل هذه الأحداث كانت معالم بارزة في تطور القضية البربرية في الجزائر، وهذا ما نحاول تعريف القارئ به في النقاط التالية:

أولاً: الأزمة البربرية لحزب الشعب الجزائري (١٩٤٨ - ١٩٤٩)

قامت بها مجموعة من الشباب ببلاد القبائل ذوي الثقافة الفرنسية، ووجدت لها بيئة ملائمة هي أوساط المهاجرين القبائل بفرنسا واليهيكلين في فيدرالية فرنسا لحزب الشعب -

الحركة القومية في الجزائر

حركة انتصار الحريات الديمقراطية (F.F.A.M.T.D.) - وقد انطلقت هذه المجموعة في عملها من خلال خطة محكمة تقوم على استقطاب الطلبة القبائل بالثانويات وبجامعة الجزائر ومدرسة المعلمين ببوربرجة المتميزين بنشاطهم والمعروفين بانفعالهم وحماسهم. وبالفعل استطاع العديد من هؤلاء الطلبة، ذوي الهول البوربرية، أن يتولوا مسؤوليات في أجهزة حزب الشعب - حركة الحريات الديمقراطية - وأن يندمجوا في الجناح العسكري للحزب سنة 1984، ولتتمثل في المنظمة السرية لحزب الشعب. وأن يحصلوا على عضوية اللجنة المركزية للحزب. وكان في طليعة هؤلاء الطلبة علي فرحات ويحيى هني ومبروك الحسين والصادق همرس وبلعيد أيت مبري وحسين أيت أحمد وعمار أوسديق وعمار ولد حمودة والي بناي وعلي عيماش (توفي 1916) والدرس السعيد أوموار وغيرهم¹.

هذا، وقد كان تتراجع الجبل الأول لمنظمة النجم وحزب الشعب، ووصول الجبل الثاني إلى أماكن المسؤولية. هزيمة سانحة لدعاة البوربرية للتغلب إلى الحزب والتحكم في أجهزته والشاغل في توجهاته والإمالة بالخط الذي يمثله مصالي الحاج الذي يهجر على التمسك بتأويل الشعب الجزائري، المتمثلة في الهوية القومية والانتساب لخطورة الإسلامية، وبالفعل تعصب اهتمام دعاة البوربرية على التفرغ في أماكن المسؤولية في الحزب، والتخفيف من العمل الجماعي، وحفظه وسيلة للتشريع الفكري والفرق بين جيلهم. وقد بدأت خطوط الأزمة تتسع بفعل تواضع بعض المسؤولين في الحزب واستقامتهم مع الدعوة البوربرية، ومنهم والي بناي عضو اللجنة القيادية لحزب الشعب بفرنسا، الذي ألقى مسؤول المنظمة الوطنية للحزب بالجزائر أحمد بودة بضرورة تقديم يد المساعدة للطلاب محمد سي يحيى الملقب بسي رشيد، فتمت عملية نقله إلى فرنسا بدعوى أنه مطارود من الشرطة الفرنسية التي لم تكن بعيدة عن هذه الخطة، إذا عرفنا أن والي العام للجزائر شاتليهون كان لا يتردد في استعمال كل الوسائل للحد من المد الشعري الذي يمثله حزب الشعب آنذاك، ويسعى جاهداً إلى إشغال نار الفتنة داخل الحزب. وهذا ما تكفل به المكتب الثاني (المباحث الفرنسية) عندما وضع خطة تكون دعاة البوربرية أحد وسائلها لتفكيك الحزب والضغط على أعضائه. بعد أن بلغ عدد المتسجين له في الجزائر وفرنسا حوالي عشرين ألف متاضل، منهم 8000 بالجزائر العاصمة و1200 ببلار القبائل².

بدأ الطلاب سي رشيد نشاطه الحزبي بفرنسا في ربيع عام 1918. فأظهر كفاية وجراة وحكمة أكلته إلى أن برز في بسرعة في مراتب المسؤولية في حزب الشعب، فأصبح عضواً في اللجنة المدبرة لقيادات الحزب بفرنسا. وعندها أظهر ميوله الجهورية. وبدأ في التهاجم على توجهات قيادة الحزب. ولم يعد يستمر على نهج البوربرية. أو يتخرج من تعظيم القبائل على غيرهم من الجزائريين دون اعتبار للكفاية والمقدرة. وهذا ما سمح له - في خلة من شالبيه

مناضلي الحزب، وقيادته - أن يحيط نفسه بالمناضلين المتعاطفين معه، وأن يضع المؤيدين له في مراكز المسؤوليات بـقيادة الحزب بفرنسا. الأمر الذي مكّنه من السيطرة الفعلية على خلايا الحزب وساعده على وضع يده على جريدة الحزب «التجمع الجزائري» (L'Unité Algèr) (1) التي تحولت إلى منبر لأفكاره، وقد ذهبت به الجريدة إلى حد الطعن في قيادة الحزب (2) والتهم عليها، عندما كتب تعليقاً في جريدة التجمع الجزائري بعنوان: «الجزائر ليست عربية ولكن جزائرية» ردّاً على المذكرة التي تقدمت بها قيادة حزب الشعب الجزائري إلى جمعية الأمم المتحدة سنة 1968، والتي جاء في مستهلها: «إن الأمة الجزائرية العربية المسلمة ولدت منذ القرن السابع الميلادي مع الفتح الإسلامي...». ولم ينت سبي وشيد في نهضته على هذه المذكرة أن يندد بقيادة الحزب بهذه العبارة التي لزم عن روح التعدي «منذ بعض الوقت ورد على لسان بعض الزعماء ما يؤكد أن الجزائر عربية، فهذه الأقوال ليست فقط غير صحيحة، ولكن الفكرة التي تعبر عنها بلا شك عنصرية إمبريالية» (3).

أصبح الخطر الذي يحمله هذا النوع «منصطح بالبربرية» والبربرية في قيادة الحزب مثلاً للعيان عندما تمكن سبي وشيد من إقناع لجنة بربرية فرنسية أن نشر لائحةتين تشيخان ما اعتبره «خرافة الجزائر العربية الإسلامية» وهذا ما طرح مسألة دوية الجزائر للنقاش وأثار حولها التساؤل بين مناضلي حزب الشعب انطلاقاً من المذهب الشيوعي للمساواة القومية الذي يرى بأن لكل أمة خصوصيتها القومية و«بربريتها الثقافية» ولكن يجب حفظه في الاستقلال حسب النموذج السوفييتي. الأمر الذي أثار المثل في أوساط شخصين وحمل بعضهم بتشكك في النهج السياسي للحزب القائم على فكرة وحدة الشعب الجزائري وعلى انتعاشه العربي الإسلامي الصحيح الذي لا يفاض فيه.

أصبحت قيادة حزب الشعب وقيادته مناضليه في حيرة من أمرهم مع ارتفاع سبي وشيد وعقريبه في طرح أفكارهم التي اصطفت بفرقة عنصرية لتصل بالإسلام صفة الرجعية والتأخر وترى في العرب أجانب غزاة ولغتهم دطيلة ومينة ولثقافتهم مرتبط بالانحطاد والظلم (4)، ومرد حيرة المناضلين أنهم كانوا لا يرضون في التشهير بهذه التصرفات غير الوطنية والسلوكيات غير القبولية لسبي وشيد وأصحابه خشية انعكاسها على وحدة مناضلي الحزب وطوقاً من أن تستغلها السلطات الفرنسية، لكن مع مخاللة دعاء البربرية ونهائهم لقيادة الحزب بالانحراف وسعيهم لتفريق صفوف الوطنيين أصبح مستقبل الحزب مرهوناً بمعالجة هذه القضية ووضع حد لهذا الوضع، فالتخذت الإجراءات الضرورية للتصدي لهذا الانحراف بعد أن أعلن أحمد بودة عضو اللجنة المركزية رسمياً قيادة الحزب بنشاط دعاء البربرية.

أولت قيادة الحزب الأمر إلى لجنة مؤلفة من نطقة من المناضلين أغلبهم من بلاد القبائل كان في طليعتهم شوقي مصطفى، عضو المكتب السياسي وصديق سعيدي المعروف لدى سكان

العلاقة الثورية مع الجزائر

جزيرة بلزامله ومواقفه وبقائهم راجع ومحمد حيدو. يعارضهم في مهمتهم هذه فوج من طلبة الحركة الوطنية بفرنسا لسنة 1968 - 1969 مؤلف من مصطفى الأشراف وعبد القادر بن حبيش وعلي مرداسي وسعدي الدين حفيور وصفيير مصطفى وسعيد بن قطاط والنوعيين الطاهر قبدة ومصطفى الفوف¹ وعندما شعر دعاة البربرية بالخطر وحاولوا التحول دون اتصال اللجنة، الكلمة بتطهير الحزب، بالمناضلين في خلايا الحزب وخاصة في منطقة باريس المهمة حيث كان أنصار سي رشيد يسيطرون على 80 في المائة من قسماها؛ على أن هذه اللجنة تحدث في أداء مهمتها على أفضل وجه بفضل اللون الذي وحدته من المناضلين المنتسبين إلى منطقة القبائل العفري دائرتي باريس التسعة عشر والعشرين ومن مناضلي قسما المدن الفرنسية الأخرى وخاصة ليون حيث كان للمناضلين بشير بوعزة دور مشرف في القضاء على الفلحة البربرية.

وبذلك أمكن لحزب الشعب أن يحدد تشكيل فيدرالية فرنسا ويحول اهتمامه إلى الجزائر حيث كان مناضلو الحزب يتعرضون لضغوط دماء البربرية في بلاد القبائل، فعالت حزب الشعب النجاح في ذلك عندما تصور تأيد أحد القضاة وضطر إلى حل القضية الثانية عشر (عج الحماض) التي عرفت بالمصبيان طيلة ذلك جمود أحد دعاة الحركة البربرية، وبذلك عاد الانسحاب لحزب الشعب بعد تعبئة عدد كبير من النضال المستعبد لتطهير قسما الحزب وخلافا من المخطوطة البربرية، وهذا ما أفضت التقرير العام للجنة المركزية في المؤتمر الثاني لحزب الشعب - حركة انصار الحريات الديمقراطية المنعقد في مدينة الجزائر (1-7 أيار 1967) بهذه العبارة: «استطاع الحزب بمعضلة داخلية خطيرة وهي البربرية. وليس هنا مجال سرد تاريخ هذا الانحراف المتمسكي اللون بالصبغة العنصرية والبربرية الشبهوية. وقد ظهرت هذه النزعة في جامعة (فيدرالية) الحزب بفرنسا ثم بالقطر الجزائري. وقامت بعمل طائفي يرقى إلى التخريب والتفرد المكشوف على الحزب. وقد اتخذت ذلك جميع التعابير الضرورية التي ينطليها الموقف. وشهر بهذه الفكرة. وتم إخراج الداهون إليها من الحزب»².

اضطر دعاة البربرية إلى الانسحاب من حزب الشعب أمام محاصرة الوطنيين لهم وتطور المناضلين من أفكارهم، فحاولوا في بادئ الأمر إحداث انشقاق في حزب الشعب بتأسيس حزب خاص بهم باسم «حزب الشعب القبائلي» (IPPK) بتبني مفهوم دائما على النزعة العنصرية واليهود اليهودية والتماعة المراكوفونية. لكنهم وجدوا أنفسهم منزعجين عن أوساط الشعب ومنهجين بالخيانة في بلاد القبائل وفي أوساط المهاجرين بفرنسا. بعد أن انكشف أمرهم وأطلع المناضلون على خطتهم عندما وقعت مراسلة من سعن الجزائر الذي يج عبر لوصديق ووالي بني هي يد أحد المناضلين هم الشريف على منشطتي هذا الحزب العفري من

خلال الدعوة البربرية ومنهم والي بني وحمزة الوصديق وعمار ولد حمودة وسابق حارس علي فرحات الذين لم يجبروا مزاراة البربرية فسلطوا على غضبهم على مناضلي الحزب وهي مقدماتهم المناضل طاهر لعجوزي المناطق باسم حزب الشعب مما أدى إلى احتكاكات كانت مثار قلق المناضلين آنذاك. لعل أكثرها إثارة تلك التي أصيب فيها علي فرحات برصاصة مناضل حزب الشعب فرنان غلفي عندما اضطر هذا الأخير أن يبادر بإطلاق الرصاص دفاعا عن نفسه^{١٢٢}.

فضل دعاة البربرية الذين طردوا من حزب الشعب ولم يتمكنوا من إحداث التفاف فيه باسم وحزب الشعب القبطاني إلى الانتماء عن ساحة الصال الوطني والاندماج في الحزب الشيوعي الجزائري الذي تأثروا بطروحاته ووجدوا الترحيب من إيطاليته، وبذلك انحصرت الدعوة البربرية وكانت أن تتلاقى مع أحداث الثورة الجزائرية (١٩٥٤ - ١٩٦٢). بعد أن سقطت دعايتها على أفكارهم والتزموا بعدم المجاهرة بها خوفا من انتقام المناضلين وحكم الثورة عليهم بالخيانة والعمالة للفرنسية، فضلا عن كون الفكرة في حد ذاتها زائفا خاسرا لا يفيد الدعوة البربرية في اندى البعيد. ولعل هذا ما جعل أحد المناضلين الموقفين بحسبه السياسي وبعد نظرهم للأحداث وهو حسين أيت أحمد يحدد موقفه حينئذ من الأحداث فترجم الفهم من بعض المناضلين من أنه انطلق المدير لخدمة البربرية لئلا يفسد وجهه ولا يشاء أن يجاهر بموقفه عندما خلق في أمرو مناضلا الحزب أحمد بوبع إمام الخطب الثوري من "خطب نصية مجرد مؤامرة ضد مسؤولي الحزب من الثقات" لكن زمامته كمناضل وحلي صديق مع قاعدته الوطنية جعلته يراجع نفسه ويتر عقيمة الأمر ويعلن ابتعاده عن العناصر البربرية ويعلن منفرجا بالخط الوطني حتى بعد أن نهي من رئاسة المنظمة السرية وموض بالحمد بن بيلل وحول إلى الشرق لينضم إلى مندوبي حزب الشعب بالقاهرة وهما محمد خير والشافلي لفي.

وعما يلاحظ أن حسين أيت أحمد الذي يسجل له التاريخ أنه يفضل دائما مصلحة الحزب على حساب قباذاته وميوله. لم ير اختيارا حرجا في التعبير عن تعاطفه مع دعاة البربرية وأن يوضح من موقفه من الأزمة البربرية لعام ١٩٦٤، عندما كتب في مذكراته: «إلى الشباب المطالبين باللغة البربرية والذين يلمزوننا على عدم تمكننا من طرح الشكل اللغوي بهذا المؤتمر (مؤتمر حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية المنعقد في شهر فيفري ١٩٦٢)، نوضح ونبين بأننا لم نتهاون في القيام بذلك لأن البربرية تعيشها، ولو كان الحزب سلطة طموحة طامنا يعلنا في كتابة وتدريب اللغة البربرية»^{١٢٣}.

لقد نجحت زعامة حزب الشعب الجزائري مغللة في التحيل الأول من الحركة الوطنية الجزائرية بزعامة مصالي الحاج (١٩٦١) أن تتجاوز القضية التي طرحها دعاة البربرية وأن تستبعد الشكل معارضة منظمة للقيادة الصداقية سواء في شكل لسلل المواقع انقياد أو احتلال

أجهزة الحزب أو بواسطة إنشاء حزب منافس (حزب الشعب القبائلي)¹³. ويهود نجاح زراعة الحزب في ذلك إلى الاحتكام إلى الصمبر الوطني الجزائري واستنهاضه في مواجهة دعاة التفرقة والجهوية بكل عزيمة وصبرامة وثبات، بعيدا عن الجمالة والمهادنة وبالاعتماد على الوسائل المكنمة والمتخفية في التشهير والظرد والمقاطعة مع الابتعاد عن كل عمل أو سلوك يمس بالتراث الثقافي البربري للجزائر. فقبل الجميع مظاهر الثقافة الشعبية القبائلية سواء في الكلام أو القنطرب أو القولكفور وحتى الأناشود الوطنية مثل نشيد «إكر عميس فو ماري» (Ker amris mari) باعتبار أن تلك الشطافة المحلية تعبر بصديق عن الوطن الواحد والشعب الواحد والهدف الواحد. هذا في الوقت الذي عرّض فيه حزب الشعب وكذلك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على فكرة المبادرة للتصدي لدعوة البربرية إلى أبناء بلاد القبائل المخلصين من مناصلين ومصلحين وشيوخ زوايا وزعماء عشائر لمواجهة دعاة الانحراف، وبالتالي كان رجال منطقة القبائل في طليعة الحركة السياسية والإصلاحية بمنطقة القبائل وبغيرها من جهات التملر الجزائري. وبذلك نجح حزب الشعب في تجاوز القضية التي طرحها دعاة البربرية فوجد لها حلا إداريا وحزبيا. وبالتالي حبا لكنه لم يستطع محو مسبباتها وجذوائها من جذورها. لأنه نشط **مرفوع محتج** يقول الذي يكون في مستوى التخطيط المشروع الاستعماري الرسمي، وهذا ما أفر به الحرب عسما اعتبر في تقريره للمؤتمر الثاني (1982) أن البربرية سلاح في يد الاستعمار عداء لا يستعير طامع¹⁴.

تاليا، أحداث تيزي أوزو أو الثورة العنكبوتية (20 أيار 1980)

ما كان لأحداث تيزي أوزو -تصروحة بالربيع الأسوري- أن تقع لولا تصاغر عوامل عدة مساعدة وظروف ملائمة عمل أهمها أزمة مصادقة عام 1977 التي ارتبطت باستقلال الجزائر وتميزت بالتنافس العداء للاستعمار على السلطة وانتهت بالقضاء على نفوذ الولايات وإقرار النهج الاشتراكي في التنمية واعتماد نظام الحزب الواحد لتمثل في حزب جبهة التحرير الوطني. فاستقرت الأمور بعد تنحية أحمد بن بيل (1975) وتولي هواري بومدين الحكم (1975 - 1998) الذي نجح في السنوات الأولى من حكمه، بفضل حزمته وتصميمه، في بناء جهاز الدولة الجزائرية وفي إشهاج خطة تنمية طموحة، وهذا ما جعل الجميع يلتزمون بالدينامية الحركة الوطنية الجزائرية ومبادئ الثورة الجزائرية القائمة على وحدة الشعب الجزائري انطلاقا من هويته الوطنية القائمة على الثقافة العربية والعقيدة الإسلامية، كما كان الشروع اليومي في التمثل في الثورات الثلاث الصناعية والزراعية والثقافية منتقلا لحركة اقتصادية واجتماعية سمحت بإيجاد توازن بين شرائح المثقفين بالفرنسية والعربية، بحيث احتكر الفرنسيون مجال النشاط الاقتصادي المربح والعلمي والإداري المؤثر. فتنحسروا بذلك في أجهزة الدولة وشوقوا في مفاصل النظام، وشغل العربون الوظائف الدينية والتعليمية وقصروا

بالهام الثقافية والجزئية أملي أن مكانتهم سوف تتدعم وأوضاعهم سوف تتحسن مع استكمال ضرب التعليم والإدارة، فاستقرت الأمور بالجزائر ظاهريا وظل التوازن قائما لمدة تهازي عشرين سنة (1965 - 1988)، لكن فشل مشروع بوعدين الصناعي والزراعي ثم التعليمي عه بعد موته (1998) في وقت عرفت فيه عملية التمزيق لشعبا ملحوظة في المؤسسات التعليمية والأجهزة الإدارية في عهد الشاذلي بن جديد (1998 - 1999) أدخل بهذا التوازن وحول الكفة لصالح المتمردين مما تسبب في نظمة التفرسين بعد أن لم تعد اللغة الفرنسية بالنسبة لأغليتهم أداة ترفلية وسيلة تمايز اجتماعي فحسب بل تحولت إلى قيم حضارية وميول ثقافية ومناهج البيولوجية، فاستعملوا كل الوسائل لوقف عملية التمزيق ووجدوا خير سند في ثقافة البربرية وغالبية العناصر الشيوعية.

فلم تعد أليات الحركة الوطنية تقع دعاة البربرية ولا ميادين الثورة تخفيهم، طهروا من تحفظهم وبدلوا بجاهلون بأفكارهم ومواقفهم بدعوى حرية التعبير والحل في التمايز، في الوقت الذي أصبحت فيه النظمة التفرسية المتحكممة في أجهزة الدولة الجزائرية (القومونكلاتورا) تغرق من شعارات حرب جبهة التحرير المادية بالتمزيق، فلم تعرفها الاعتراف وإنما استعملتها فقط كواجهة لتستر على عملية **الفرنسة** التي تمارسها في المجتمع. وبذلك تهيأت الظروف لدعاة البربرية أن يجدوا مشعلهم وأن ينفقوا أفكارهم للجيل الثالث عن طريق تنظيم الحلقات والدروس التي تلب الأيديولوجية الماركسي على إقامتها والتي اتخذت شكل نشاط ثقافي برمي إلى إحياء التراث البربري والاعتراف به والذي ما لبث أن أصبح له تأثير في الأوساط الطلابية بمدينة الجزائر ونهري أورو.

ومع المرافيل التي وضعت أمام عملية التمزيق من طرف الإدارة الجزائرية في الثمانينات بدا نشاط دعاة البربرية يتطور في شكل مطالب محددة تتعلق بالهوية الجزائرية وبإبعاد شخصية الشعب الجزائري. فوجدوا خير مشجع لهم ذلك الموقف السلبي من البربرية الذي عرفت به العديد من الإطارات التفرسية المتحكممة في أجهزة الدولة وقطاعاتها الاقتصادية والثقافية، هذه الإطارات التي رأت في دعاة البربرية الحليف الطبيعي لها في دفاعها عن مصالحها والحفاظة على مكانتها أمام تصاعد الأجيال البربرية المنخرجة من المدرسة الجزائرية، في الوقت الذي أصبحت فيه المسألة البربرية محل اهتمام الأوساط المتفددة في الدوائر الفرنسية وهذا ما منع بتأسيس «الأكاديمية البربرية» من طرف بعض دعاة البربرية بباريس (1997) والتي كان لها دور بارز في بلورة المطالب البربرية في نشرها الشهرية وهي ما تصدره من منشورات وبيانات، فقد جاء في بيانها الأول: «أن تاريخ شمال إفريقيا كما يدرس الآن كله تزييف وتعميق، فعلى البربر أن يتحدوا ضد جبهة تكراه اسمها البربرية... وهذه بالنسبة لنا هي مسألة شرف وكرامة». كما

ورد في المنشور الثاني: «لقد رحلوا (أي العرب) غاروا بكم دون أن تبدوا أي مقاومة، غادوكم أن تضيحوا بوجهكم... إنهم (أي العرب) يحاولون أن يطفئوا نوركم ويحسبواكم بغير بقلهم لأنه يحولكم إلى أماس لا ذكوة لهم ولا اسماء ولا ارتباط... استبقطوا إنهم يحاولون أن يفضوا عنكم أنماكم وإذا لم تتدركوا هذا الأمر (أي التعريب) فإنهم يتكبرون لكم (أي أمياكم) بعد وقت ليس بعيد، بل يصيرون أعدائكم... فامضوا، غاروا بعملية التعريب العنصرية قبل هزات الأول، ذلك أن اليوم الذي يمر بقرنا من الانحطاط»¹¹.

بدأ نشاط دعاة البربرية يتزايد بعداء في الشارع الجزائري عندما هتفت جموع من شباب القبائل ضد رموز السلطة في ملعب 5 يوليو بالجزائر العاصمة في شهر يونيو 1997 بمناسبة فوز الفريق الرياضي القبائلي (الكارتونيك ليرزي أوزو) بكأس الجمهورية، وهال الأمر الموقوفين الجزائريين عندما فعلى الصفيير ضد مصراع الشهيد الوطني وشدت هتافات ضد رئيس الجمهورية هواري بومدين. صدرت من جماعات متحمسة ترفع لافتات بخط تقيعنا وتلوح بألوان خاصة ذات لون أصفر وأخضر، وأقام إرسالات أجهزة الدولة وتردها ومحاولة على النظر عما حدث، أخذ دعاة البربرية زمام المبادرة وصمموا على كسب الشارع القبائلي إلى جانبهم مستخدمين كل الوسائل وفي مقدمتها مطامر الدولتور الشعبي، فكانت الأغنية القبائلية بالنسبة إليهم أحسن وسيلة للتوعية والتعبئة. فالتعريب الذي كان يهدف إلى محو الهوية والناس وخرجات مهني وأيدي مشغلات ويدر وغيرهم وتحول أصحابها إلى رموز للحركة البربرية وأصبحت تصريحاتهم ومواقفهم تنسج التراتيل المدام وتوجه في منطقة القبائل رغم ما فيها من روح التحدي والتوجه «أنت مغتلات لم يتوجه في إحدى أغانيه في التعريب على العرب حيث جاء فيها: «عندما أرى عربيا في حديقتي أطلق عليه النار»¹²، والغني إيدي، الذي تحدث أحيته الشهيرة «ألمة إيتوية» حيث بيع منها في سنة 1998 ما لا يقل عن مائتي ألف نسخة¹³، لم يكن هو الأمر بغير تعصب عربيا أو مسلما لأن لغة هي انقبائية وهويته هي البربرية، حسب تصريحها¹⁴.

ومع ذلك هذا النشاط المحموم لدعاة البربرية تكوين خلايا نشطة بالمصالح الإدارية والتأهيات والأحياء الجامعية، وتحول الفكر العامي لتيزي أوزو الذي أشن في إطار التوازن الجهوي في السبعينيات إلى مركز رئيسي لنشاط دعاة البربرية المنتشرين بولايات تيزي أوزو وبجاية والبيورت. مما أثار قلق السلطات المحلية. فحاولت التضييق عليهم عندما رفضت السماح لمطرب القبائلي أيت مغتلات بأحياء حفل في الحي الجامعي لتيزي أوزو (1990)، وسعت إلى تأجيل عرض مسرحية بالقبائلية لكتاب ياسين بوزان «حرب ألفي سنة» والتي يرمز فيها إلى أن الجزائر ما زالت في نظره مستعمرة من طرف الدغلاء العرب، وهذا ما تسبب في توتر الأوضاع وهيا الظروف للاحتجاجات والمظاهرات، فكان منع الكاتب مولود

مدمري من إلقاء محاضرة بالمرکز الجامعي لبيزي أوزو بعنوان «أشعار فياتلية قديمة» (Psalms laityles anciens)¹¹ في آخر لحظة يوم ١٠ مارس - ١٩٨٠ بمسبلة القطرة التي أفضحت الكفاس، رغم أن السلطات المحلية (الولاية) التي صدر عنها قرار المنع تترعت بتخونها مما قد تشهده المحاضرة من حملات وهياج قد يخل بالنظام ويصعب السيطرة عليه. في الوقت الذي اعتبر فيه دعاة البربرية تصرفها نوعا من التمتع الثقافي غير البربر وإهانة هي حق التراث البربري لا يمكن السكوت عنها¹².

وبالمثل فقد نظم أساتذة وطلبة المركز الجامعي لبيزي أوزو مسيرة احتجاج في شوارع المدينة لم تلبث أن انسح نطاقها في اليوم التالي (١١ مارس) بعد أن اتضعت إليها جموع من طلبة المدارس وموظفي الضالع الإداري والتجار بالمدينة قدم جلهم من خارج مدينة لبيزي أوزو. فتحوّلت إلى مظاهرة ضخمة رفعت فيها شعارات مناهضة للتربيع وحيدة بالاستبداد الثقافي - كتبت بالعربية والقبائلية ورموز القيثارة - من قبيل: «نعم للثقافات الشعبية الجزائرية» - «نعنا من العظم» (نهباسي الشاطل) - «الأمازيغية هي امتداد» - «تعارفت تمسلايت أنت» - بعدها انطلقت الاحتجاجات يظهر عديد مدني بمساعدة عمال المستشفى وعمال شركة التصنيع بوزاخ من طلبة وانضمام جماعات التجارة والحرفيين والطلبة - فاعلى الإضراب لمدة يومين (١٢ - ١٣ مارس ١٩٨٠). وبدأ حركته دعاة البربرية بالحو - بعد أن نجحوا في تجنيد الرأي العام ببلاذ القبائل إلى جانبهم. وحددوا موقفهم من إعلان العديد من الكتابات العنصرية بشوارع لبيزي أوزو. فذكر منها: «أوقفوا التمتع الثقافي» - «Halle à la répression culturelle» - «نكسر ولا تنكسر أبدا» - «Non aux braves mais nous ne plions pas». فقدم سطلنا من طلمكهم. «ثقافة بربرية تعني ثقافة شعبية» - «Culture bohéme-Culture populaire»¹³ وفي أثناء ذلك تكررت المهرجانات واستمرت الاضطرابات وتوسعت حركة الإضراب لتشمل تلاميذ المدارس الابتدائية وطلّاب الثانويات. مما اضطر السلطات الجزائرية إلى إرسال وحدات من الجيش لتعزيز الشرطة ورجال المراك، فطوقت مدينة لبيزي أوزو. وجرى التدخل لتفريق المتعصمين بالمرکز الجامعي وبالمستشفى في ٢٠ أبريل واعتقل المعرضون على الاضطرابات وأرعدوا السجن¹⁴. مما أدى إلى استمرار الاحتجاجات والمظاهرات لمدة أربعة أيام شعلت مدن وقري بلاد القبائل ووصل تأثيرها إلى مدينة الجزائر بفعل نشاط الحركة البربرية من طلبة الجامعة. ومع نهاية شهر مايو بدأت الأوضاع تستقر ولم تلبث أن خمدت حركة الاحتجاج تاركة وراءها نواتر اجتماعية وثقافية ويطيم على الشارع القبائلي. الذي لم يعد كما كان سابقا، بفعل الطابع الشعبي الذي اكتسبته الحركة البربرية والفرامج الملائط للمعارضين لها من سكان القبائل. بعد أن غاب أملهم في النظام السياسي الذي ترك المبادرة لطغموه ولم يكن هي مستوى مواجهة الأحداث. وبذلك توطلت أفكار دعاة البربرية ببلاذ القبائل وعبرت عن نفسها

الحركة العربية في الجزائر

من خلال تنظيم ذي طابع ثقافي وتوجه سياسي وقناعات أيديولوجية عرّف بـ «الحركة الثقافية البيربرية» (M.C.B.).

أصبح من الضروري على دعاة البيربرية بعد النجاح الذي حققوه والذي جعل منهم المعتنقين المتفعلين والمؤثرين في بلاد القبائل أن يحددوا خططهم ويضبطوا برنامج عملهم الثقافي والاجتماعي والسياسي من خلال تنظيم «الحركة الثقافية البيربرية» التي لم تهتكل بعد، فقررُوا عقد ملتقى ببيكوران في نواحي عزازقة في شهر أغسطس 1980 لتحديد خططهم وتسيق عملهم. وقد أضر هذا الملتقى - الذي كانت شخصية الشرف فيه كاتب ياسين - وشاركت فيه نخبة من أنصار الفرنسية والمترجمين بالبيان الشهيرة - على إقرار وثيقة المطالب البيربرية¹ التي تضمنت، على وجوب اعتبار اللغة الأمازيغية (القبائلية) لغة رسمية للجزائر، بعض القانون أسوة بالعربية، وضرورة إدخالها في النظام التربوي الجزائري منذ المرحلة الابتدائية، وبذلك أنهت أهداف الحركة الوطنية الجزائرية وأوجهات الثورة الجزائرية عليها وكترست فكرة ثنائية الهوية الوطنية الجزائرية (قبائلية وعربية) كما نظر إليها الفرنسيون في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

حرض دعاة البيربرية منذ أحداث تيزي أورو على خلق جود دعوى للثقافة العربية بالجزائر وقد أدى بهم ذلك إلى معزجات مغرقة تسلطت المديني وروح المواطنة عندما تحولت في بعض الأحيان إلى تهجمات عنيفة على من ليس قبائلياً، في أثناء مظاهرات خريف 1981 التي عرفت بحزب الغضب والتي استعصت فيها مطالب الحركة العربية بغير التفرقة للتطبيق بشعارات عنصرية ضد العرب والإسلام من قبيل «استبقطوا أيها الإخوة البرابرة» (Régalez-vous frères, barbares)، «تيطرد العرب» (L'Arabe est mon ennemi)، «البيربرية أفتساء» (L'Arabe est mon esclavage)، «اللغة العربية إنها عبودية» (L'Arabe est mon esclavage)؛ وقد ارتبط هذا التوجه التهجيم على القيم العربية الإسلامية بعقوف معاد للنظام الجزائري لتعسكه ولو ظاهرياً بسياسة التعريب، وهذا ما أوضحه المنشور الذي وزعه دعاة البيربرية بشيخي أوزو سنة 1982 والذي جاء فيه: «نظام نافذة منقذدو لا يتفكون في خطاياهم الديمقراطية تأكيد عروبة الجزائر... التي لا تستند إلى أسس تاريخية صحيحة من الناحية الأثروبولوجية أو الثقافية... نعم للأشتركية العلمية، نعم للوحدة الوطنية، لا للتيطرد العربية الإسلامية... نعم لحرية التعبير»².

ثانياً: حركة العروش (2001-2004)

لم تحقق أحداث تيزي أورو العام 1980 الصروقة بـ «الربيع الأمازيغي» ما كان يأمل القائلون بها، فزعم الجهود التي بذلك والتضخمات التي قدمت. فقد ظلت المطالب التي حددتها «أرضية إيكوران» مجرد شعارات لكونها غير قابلة للتطبيق في حد ذاتها، وهذا ما جعل

الحركة البربرية تركز على النشاط السياسي حتى تحول دون تراجع تأثيرها في الشارع القبائلي أمام تصاعد المد الإسلامي الذي امتدت تأثيراته إلى بلاد القبائل بفعل الانتفاخ الديمقراطي والتعددية السياسية التي أخذت بها الجزائر سنة 1989، ومع دخول الجزائر في أزمة متعددة الجوانب منذ توقيف المصالح الانتخابي (1991)، اضطرت الحركة البربرية إلى مجاوزة السلطة الجزائرية التي عرفت كيف تتعامل مع دعاة البربرية عندما بلغت بنجميد الشلف الثقافي الجزائري قبل يوم واحد من اغتيال الرئيس محمد بوضياف (29 يونيو 1992)، فتحول مناضلو القضية البربرية إلى حلقاء طبيعيين للنظام الجزائري تحت غطاء الدفاع عن القيم الديمقراطية والتعددية السياسية والنظام الجمهوري، وبذلك شتتت جهود دعاة البربرية بين النشاط الثقافي والعمل السياسي والتضامن الحزبي وتحولت مطالبهم على ضوء الواقع الصعب الذي كانت تعيشه الجزائر في التسعينيات إلى مجرد شعارات سياسية وبرامج حزبية، وتوزع الناشطون على الكثير من الأحزاب السياسية، وهذا ما تسبب في انقسام الحركة الثقافية البربرية نفسها إلى تسيديرات بعضها مستقل وبعضها الآخر مرتبط بحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية أو بحزب جبهة القوى الاشتراكية، وفي هذه الظروف المتأزمة لم تعد مطالب دعاة البربرية شاذة على تجسيد الفريد من المؤيدين بعد أن أصبح التراث والثقافة البربرية قضية مسلما بها من طرف جميع الجزائريين وأموأ نمرجه مختلف الأحزاب السياسية في برامجها بدلا من الأحزاب البلاطية وانتهاء بالأحزاب الإسلامية³⁵، وهذا ما جعل النظام الجزائري - حوصسا على الوحدة الوطنية الجزائرية - يحاول نسي بعض مطالب دعاة البربرية بإخراج تعليم الكهعات البربرية باسم «الأمازيغية»، في التعليم ولو جزئيا والتوسع في البيت الإلهي والتفري في اللسان البربري، كما أحدث مصلحة للاعتناء بالشؤون الثقافية البربرية والتعليم البربرية باسم «المحافظة السامية للأمازيغية»، استجابة لوقف إضراب المحافظة الذي شغل مناطق القبائل (سبتمبر 1993 - أبريل 1994).

كل ذلك لم يغير من الواقع شيئا لأن المطالب البربرية لم تعد مسألة ثقافية وإنما تحولت إلى قضية سياسية ذات صبغة أيديولوجية تلتخص أهدافها في معاداة الثقافة العربية والعمل على وقف عملية التعريب والإبقاء على هيمنة اللغة الفرنسية انظارا لأجل غير محددة يمكن فيها تطوير القبائلية من لهجة إلى لغة تعليم وإدارة، لكن الشيء الذي لم يأخذه دعاة البربرية في الاعتبار هو أن الزمان لا يتوقف ولا يعود إلى الوراء وأن المؤسسات التعليمية الجزائرية طلت ورقم الحصار الذي تعرضت له والتهام الذي وجه إليها تواسل ومساندتها التعليمية في خدمة اللغة العربية. في الوقت الذي طلت فيه الفرنسية بحكم الواقع لغة مهيمنة على المناهج العليا والإدارات المركزية والخدمات الفنية لا تسمح لدعاة البربرية تمويضا بالقبائلية، وهذا ما أدى بفعل الظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري إلى إقرار نوع من التعايش بين العربية

العدالة التوزيعية في الجزائر

والفرنسية لم يجد دعاء البربرية مكانا لهم فيه، وهذا ما جعلهم يعتقدون أنهم خدعوا عندما تم جرهم إلى العمل السياسي ودفقوا إلى السعي لاحتلال المناصب، فحلوا تلك الأربطة مع النظام الجزائري مستغلين الظروف الصعبة التي عرفتها الدولة والتجتمع الجزائري وأخير التسمينيات بفعل تردّي الحالة الأمنية، هشنوا حملة حادة ضد رموز الدولة وأجهزتها ووضفوا حملة لاحتلال الشوارع القبايلي من جديد بهدف الوصول إلى السلطة لفرض تصورهم وتغيير مطالبهم دون اعتبار للرأي العام والقوى النافذة في المجتمع، وهذا ما انعكس سلبا على أوضاع منطقة القبائل التي أصبح يسودها الفلل والاضطراب وتشتد بها روح التمرد وتزداد روح عدائية ضد النظام الجزائري الذي حملته دعاء البربرية تبعات الطائفية الاقتصادية والاندس والاضطراب السياسي.

و لم يفل الأمر حتى وجدوا في حادثة مقتل أحد عملة ثانوية بني دالة بولاية تيزي أوزو المدعو محمد طرماع المعروف بعاسينعما يوم 18 أفريل 2001 من طرف أحد رجال الدرك الوطني حجة لتعدي أجهزة الدولة الجزائرية واعتدوا ذلك الحادث بعشاية انتهازية لشرف سكان منطقة القبائل واعتداء على كرامتهم وحقوقهم في الحياة، فسلحت الاضطرابات في العديد من قرى بلاد القبائل ونحوها إلى عسيلات عام بعد إلقاء القبض على ثلاثة عملة من ثانوية وار أميزور بولاية دجاية (27 أبريل)، وعصاوي، فلق نخعي، تسمرات وتعدد المظاهرات التي عرف دعاء البربرية كرف، بالقرنات، وبوجاموس، سيد وحال الدرك الوطني لتكتفح بحفظ النظام، فاعتبروهم آلة قتل ورمز عساد وأمام إعدام السلطات الجزائرية عن مواجهة التعدي طوقا من التبعات الخارجية والآنز الحولية، بنروا إلى ارتكاب أعمال عنف ولم يتردوا في إغراق مزار مصالح الدولة ومكاتب البلديات، وبذلك تراجعت مظاهر سلطة الدولة الجزائرية في منطقة القبائل، لتحل محلها لجان شعبية عرفت بـ «جماعات العروش» أو جماعات القرى، جعلت شعارها: «لا تسامح أبدا، (أولاش التسامح) ولم تثبت أن انتهكت منها تسمينيات الولايات المؤلف من مندوبي محاسن القرى لولايات تيزي أوزو وبغاية والمورة في اجتماع 10 مايو 2001 بني دالة، وحش تعاضد هذه الحركة على زعمها، حدثت مطالبها الثقافية والسياسية في اجتماع مندوبي التسمينيات بمدينة القصور، واعتبرت تلك المطالبات المعروفة بأرضية القصور، الحد الأدنى الذي يمكن التفاوض في شأنه مع السلطات الجزائرية»¹¹.

وضع سياسة التعصيد قوت لجنة ما بين الولايات لحركة العروش في اجتماعها بتاريخ 11 يونيو 2001 القيام بمسيرة منظمة بمدينة الجزائر يوم 11 يونيو 2001 لفرض مطالبها على السلطات الجزائرية ولو باستعمال العنف، وبالفعل توافدت على مدينة الجزائر أعداد غفيرة من بلاد القبائل رغم الحواجز التي حالت دون وصول وسائل النقل العامة إلى وسط المدينة، وأمام إصرار المظاهرين على الوصول في مسيرة جماعية إلى مقر الرئاسة

الجزائرية بأغالي المدينة (المرادية)، تحولت المظاهرات إلى أعمال شغب ونهب وحرق وإتلاف للممتلكات والسيارات والمتاجر، في الجهات التي مر بها المتظاهرون، مما دفع شباب مدينة الجزائر أمام سطوة رجال الشرطة إلى التدخل والاشتباك مع المتظاهرين وإلزامهم على العودة من حيث أتوا، وقد كان لمظاهر التطريب والحرق والتدمير التي بثها التلفزيون الجزائري تأثير بالغ في الرأي العام الجزائري الذي يقم على سلوك دعاة البربرية ولم يعد يتجاوب مع مطالبهم، فكان ذلك بداية العد التنازلي لحركة العروش التي لم تستطع أن تحافظ على زخمها بعد مسيرة أولافان في 20 أغسطس والتي فطعتها إحياء لثانية انقلاب مؤتمر الصومام (20 أغسطس 1966) وأبعدت عنها السلطات الرسمية الجزائرية ومنظمة الجاهدين التي اعتادت على حضورها.

لقد كانت خطة حركة العروش تهدف أساسا إلى القضاء على نفوذ الدولة الجزائرية في منطقة القبائل وجر السلطات الجزائرية إلى استعمال القوة معهم حتى يمكن لهم تجميد الرأي العام لصالحهم ودفع دوائر القرار في فرنسا للتدخل لصالحهم، ولكن النظام الجزائري الذي أصبح له الخبرة في التعامل مع المسألة البربرية هوجت عليهم الفرصة التي كانوا ياملونها، فلم يحاول استعمال القوة رغم الإمكانات والإمكانات التي تملكها الشرطة والعركل الذين ظلوا محاصرين مع عائلاتهم في مشرهم، ولم يكتب لنظام الجزائري نجاحا مخطط، حركة العروش بل جردهم من شرعيتهم، سيما وأنهم لم يشبهوا إلا تحول دون بسط نفوذهم على منطقة القبائل إثر مظاهرات 26 يونيو 2011. وبذلك انعدم النظام ونصب القوض، وتحولت حركة العروش إلى ظاهرة احتجاج عسوي وعشائري مدني موجه للنفساء على مظاهر الدولة الجزائرية بمنطقة القبائل التي تعرض اقتصادها إلى أضرار بالغة طيلة سنتي 2011 و2012 وتحول معه أغلب المتظاهرين معها من التجار والصناع والفلاحين والطلبة من موافقة مبادئ إلى متحفظ، وهذا ما سمح لأجهزة الدولة الجزائرية بأخذ زمام المبادرة من جديد مستغلة تحت ميثاق العروش ومبادئهم التي لم تعد فضيحة ثقافية وإنما تحولت إلى معاناة سياسية، فبادرت إلى سحب البساط نهائيا من دعاة البربرية بإدراج ما اصطلح على تسميته بـ «اللقطة الأمازيغية» في الدستور كلقطة وطنية بعد أن أدرجت «الأمازيغية» سابقا كأحد لغات ومقومات الشخصية الجزائرية أممية والعربية والإسلام في نص الميثاق الوطني الجزائري العام 1966، دون أن تعدد أي لهجة بربرية تعتمد كلقطة أمازيغية ودون أن تقرر أي حرف تكتب به، في الوقت الذي تعدد فيه الناطقون باسم حركة العروش وتعرضت تنظيماتها للانقسام وتحولت من كونها وعاء حقيقيا للرأي العام ببلاد القبائل إلى تنظيم يهدف إلى المشاركة في السلطة عن طريق مطالب جهوية، وهذا ما جعل دعاء حركة العروش برون بأن المائة بالنسبة إليهم تكمن في كيفية الجمع بين الهوية والسياسة⁽¹⁾.

العملية البربرية دم القبائل

يشكل هذه المواقف التوتت حركة العروش إلى أفاق مستوددة وتحولات من حركة ثقافية اجتماعية تقوم على مبدأ المواطنة إلى مجرد حركة احتجاج وتعمد عند رموز الدولة بمنطقة القبائل. ولعل أهم عوامل فشلها يعود إلى أن مواقفها كانت مرتبطة بموازين القوى في النظام الجزائري والأجندة المتفتدة في الإدارة الجزائرية، وإلى كونها لم تقدر مدى عمق الروح الوطنية الجزائرية لدى سكان بلاد القبائل، عندما أصدرت على أطوار رجال الدولة من منطقة القبائل باعتبارهم قوة احتلال وصعدت إلى تدعيم المؤسسات العامة والمصالح الإدارية والبلدية، على أن أكبر خطأ وقعت فيه حركة العروش هو عدم فهمها للعبة السياسية التي فكت تعاضدها الأحزاب التقليدية في المنطقة. وفي مقدمتها حزبا جبهة القوى الاشتراكية والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، فعالتت المزايدة عليهما، طوققت من السلطة الجزائرية موقف تعدد غير قابل للمراجعة، وهذا ما شجع بعض المعاصرين من صفوفها إلى طرح مطالب متطرفة وصلت إلى حد طرح فكرة الانفصال كحل لمشكل القبائلي، هذه الفكرة التي مهد لها أحد دارسي البربرية وهو الأستاذ سليم شاكور عندما ربط تطور الطائفة البربرية بالحكم الذاتي، عندما اعتبر أن «الحكم الذاتي العياضي له فوائد تعود على مستلة القاص وعلى سكانها بالعدالة، لأنه تحرر من الاستعمار الذي تعاضده مؤسسات الدولة الجزائرية الثورية»¹، وقد يادو القضي طرحك مهني بالقيادة بالحكم الذاتي لبلاد القبائل مع أن أصبحت الحكومة الجزائرية في نظره نظاما استعماريًا شديدًا. فاعين في دولة مستغنية في 6 يونيو 2006 بتقني أوزو من تأسيس «الحركة من أجل الحكم الذاتي لبلاد القبائل» مبررا مساندته هذه بأن تطور اللغة الأمازيغية (القبائلية) مرتبط بالحكم الذاتي الذي لا يمكن أن يكون له معنى حسب قوله بدون بعد اقتصادي، مؤكدا فتاعته بأن القبائلية هي الأساس الأول للأمازيغية²، وهذا ما صدم الكثيرين من ذوي النيات الحسنة، فزاولوا فيه عملا من قبيل الانتهاز الذاتي الذي يعيد المسألة البربرية إلى المظلمات التي نشأت منها، وجعل أكثر المتصممين القومية البربرية ببلاد القبائل يتوهون من عواملها، فتراجع تأثيرها في الشارع الجزائري، وهذا ما ظهر جليا في إحياء الذكرى الثالثة والعشرين للربيع الأمازيغي (20 أبريل 2003) التي لم يكن لها الصدى الشامل بين سكان القبائل، مما أثار قلق ومخاوف دعاية البربرية وجعل الصحافة الناصرة لها ومنها جريدة «الوطن» تحاول تصحيح التجمعات وإلقاء المسؤولية في فشل حركة العروش على أجهزة الدولة التي لم تفهم، حسب زعمهم، مطالبها بل شعادت في التحم من شأنها ووصف القائمين عليها بالشاذيين³، وتعل الفرصة المتاحة الآن لهذه الحركة، لكي تحافظ على وجودها وتعرض أفكارها على الشارع القبائلي، تكمن في موقف القوة المساندة لها في جهاز الدولة الجزائرية والتي تعمل على استمرار الأزمة البربرية والتي

لا يستبعد أن نشيد بها وتمديد لها الطوعية وتربط الاتصال بها وتحاول التفاوض معها، بحسب الانتفاع والتضامن وتقبل الآخر. وإن كان ذلك يتنافى والمصالح الحية والاستراتيجية للشعب الجزائري.

٥- واقع المسألة البربرية

إن المسألة البربرية بعد أن فرضت نفسها من خلال الأحداث التي سبقت الإشارة إليها أصبحت في مقترب طريق، إما أن تراجع نفسها وتعدل توجهاتها لتندمج في التطور التاريخي للجزائر الذي يسير نحو المزيد من الانسجام القلوي والتفاعل الثقافي والتقارب الاجتماعي والحوار السياسي، فتغدق المطالب البربرية إحدى مكونات الشخصية الجزائرية لسير عن قيم وطنية لا تتعارض مع الهوية العربية الإسلامية للجزائر. مما يسمح بتوسيع الأفق السياسية وتمييق الضمير الوطني الجزائري، وإما أن تزيد من طولها وتطوّر في مطالبها لتدفع منطقة القبائل نحو الحكم الذاتي وتهدد الظروف لفصل المجموعة القبلية عن باقي الشعب الجزائري كما يأمل بعض المتطرفين من دعاتها الذين يعانون الانشقاق الفكري والتعصب الأبويولوجي والطلق النفس والاضطراب الاجتماعي. وفي انتظار ما قد تقول إليه الأوضاع، فإن واقع المسألة البربرية اليوم في الجزائر جعل الرأي العام الجزائري يختلف حولها بين مؤيد متحمس وبين موقف معتدل أو معاليه بشرف الأحداث وبين ممارس متشدّد: فالمدافعون لها والمؤيدون لمطالبها والمترحمون بأهلها قلما رغم شأنتهم المتطوّرة بصفة محدودة العدد متعصبة مطالبها ومتمسكة بأفكارهم. فعمل القليل والتعصّب والتعبيش. فأصبحت ترى في قضيتها مسألة عقيدة وقضية وجود ولا نسمح بالرأي المخالف ولا نرى الحقيقة من الجانب الآخر ولا تقبل النقاش بل لا تردد في أن تفرغ ما نراكم لديها من أفكار في عملية عنف وموقف يصف بالحقّد والتشنج، مما يبعد القضية البربرية عن كونها فكرة مصدّرها العقل ويجعل منها موقفاً معبراً عن عاطفة تتحكم في الإحساس والسلوك^{١٢٠}. وهذا ما عبر عنه أحد دعاتها بقوله: «إن الجزائر بربرية شتّى أم أيتها... وإن اللغة البربرية (القبلية) لها ماضيتها وكذلك المستقبل. وما مقاومتها للاتينية ثم التعريب فيما بعد والخيرا الفرنسية إلا أدلة واضحة على تشعبها بدنياسمكية خارقة جعلت منها قضية بالفعل»^{١٢١}. وبالفعل فإن هذا التوجه قد حاول تجاوز الواقع عندما علّا هتافه على النشيد الوطني ورفع علما معبرا في بعض التظاهرات، وقام ببعض الكتابة بالحروف العربية من على لوحات الطرق وإعلانات المحلات والمصالح الإدارية بمنطقة القبائل. واعتبر أن كل ما هو عربي إسلامي عدو ودخيل. كما يعبر عنه العديد من الهتافات والإعلانات التي رفعت منذ سنة ١٩٨٠^{١٢٢}.

وتضاف إلى هذه الجماعة للمتعصبة شريحة واسعة من التقهوين للفكرة البربرية والتي تميز موقفها بالاعتدال بفعل الحس الوطني والرؤية السياسية البعيدة، فهي تقر بمطالب دعاة

الجماعة البربرية في الجزائر

البربرية من حيث كونها قضية ثقافية وليست كونها توجهها انفصاليها معاديا للوحدة الشعب الجزائري، هالدعوة البربرية بالنسبة لهم رغم ما عرفته من انحراف وعاشتة من تطرف تطل راعدا من رواعد الثقافة الوطنية الجزائرية لا يمكن أن يستعمل في أي حال من الأحوال لضرب العرب والإسلام والعروبة والوحدة الوطنية، مما يتطلب احترامها باحتيائها ليست شعارات نظية وإنما هي مطلب شعبي ومسألة مرتبطة بحرية التعبير واحترام الآخر⁽¹⁾. وهذا ما عبرت عنه إحدى الشخصيات التاريخية الجزائرية وهو حسين أيت أحمد بقوله: «إننا لا نقول بوجود قومية بربرية أو قبلية بالجزائر بالنسبة إليها، ونقولها بقوة أن الجزائر واحد لا تتجزأ». وهذا ما يفرض على الجميع تقبل التراث الثقافي البربري والاعتزاز به لكونه إحدى مكونات الهوية الجزائرية⁽²⁾.

وبعدا عن هذا الموقف ظل السؤال الأعظم من الجزائريين لا يهتم بالسؤال البربرية وإن فرضت أحداثها عليه، فغالبا ما يتصف موقفه بالحياد، لكن مع تصاعد المطالب البربرية وتعددها للرأي العام الجزائري الذي يرى في القيم الحضارية التي يحملها الإسلام دافعا قويا لتثقيف الضعيف الوطني الجزائري⁽³⁾. شكل مجموعة وشية مجموعة العدد أحدث موقفا معاديا لطروحات دعاة البربرية، تحولت إلى شريحة اجتماعية ما من نشاطها، يتوسع وينتشرها في المجتمع الجزائري ويتعاظم، بفعل مبالغة دعاة البربرية في مطالبهم ومما أنهم تكن ما يعت إلى العروبة والإسلام، وأصبحت غالبية هذه الشريحة ترى في الدعوة البربرية مخرج لحل ستمين متعرجين، ولتطوير الأفكار التي تطرحها من بقايا الاستعمار الفرنسي، فهي حسب فهم أحد وشية التيفلج وهو أكلي بلعياص فكرة مفصلة القبائل المرابطين وأنواين لغرسها تصريح بها العديد من أفراد جيل الاستقلال من شهر الأتخاب والعملاء والخونة ويفعل عامل الحمية المرطية والتهرة القبليّة⁽⁴⁾. وهذا ما حاولت التعبير عنه أيضا العديد من الكوائج والمناشور والبيانات والفتايات تذكر منها على سبيل المثال بيان لجنة مساندة المهوم التعليم للمصالاة الأمازيغية الصادر بالجزائر عن مجموعة تنتمي إلى مختلف شرائح الشعب الجزائري في 5 سبتمبر 1996 وإلى على برنامج المحافظة السامية للأمازيغية باعتبار ما جاء في هذا البرنامج ابتزرا وضربا للشخصية الجزائرية لأنه حسب ما جاء في هذا البيان: «يمس توابت الشعب الجزائري ووحدته ويهدد الحروب أهلية لقائدة المستعمر»⁽⁵⁾. وكذلك إعلان لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وتوابت الأصالة بباتة المؤرخ في 21 نوفمبر 1996 والذي جاء فيه: «وإننا مؤكدة للجميع أن اختيار لغة رسمية ثانية للجزائر يطعن لسيادة الشعب وحده عن طريق الاستثناء ولا يمكن فرض لغة رسمية ثانية بجانب اللغة العربية»⁽⁶⁾.

انطلاقا من هذه المواقف من دعاة البربرية وبالرجوع إلى الطغمية التاريخية للمصالاة البربرية وانعكاساتها على الواقع الجزائري، يمكن استخلاص بعض المعيزات والخصائص واستنتاج بعض الأحكام والتقييمات حول «القضية البربرية» في الجزائر:

١- إن المسألة البربرية من حيث الأفكار التي تحملها وتعالول فرضها ما هي إلا جزء من المشروع الاستعماري الذي حضنت له الجرائر طيلة ١٢٢ سنة (١٨٣٠ - ١٩٦٢) والقيام على فكرة تعظيم التوأمة الحضارية للشعب الجزائري المتشككة في الإسلام والبربرية. وهذا ما جعل دعايتها يستندون على أصولها - لأن كل دعوة معادية للبربرية والإسلام في الجزائر لا تصدر إلا عن تصور استعماري خلطت له الضمائم الفرنسية - وعمل على تحسيسه رجال الإدارة الاستعمارية العرب وحده الشعب الجزائري وتقسيمه، بدليل أن ماضي الجزائر منذ أقدم العصور وحتى بداية الاحتلال الفرنسي (١٨٣٠) يكاد يخلو من أي مظهر من مظاهر العنصرية، وأن حوثيات التاريخ الجزائري لم تسجل منذ الفتح الإسلامي أي حركة معادية للعرب أو متعصبة من الإسلام، وحتى بعد الاحتلال الفرنسي ظلت السياسة البربرية الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى لا تتجاوز المصالح الأهلية للإدارة الفرنسية، ولعل هذا ما دفع المؤرخ الفرنسي شارل رومير أجرون (Ch.R. Aguron) إلى اعتبار سياسة فرنسا «البربرية» في بلاد القبائل مجرد وهم أو خرافة كما صنفت الإنشابة به^{١٢٢}. وعمل أحد رجال الحركة الوطنية المناهض بن يوسف بن خدة، يعتبرها - محرومة حسبته لتأيدولوجية الاستعمارية والأفكار الشيوعية^{١٢٣}.

ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار الحركة البربرية بالحوار وليس كل البربر تعبيرا عن حالة من الاغتراب الشريفة ما فلتت بتأريدها ونعائلم صودها، تشكل أساسا من النظرة الجزائرية المغربية والمتعلقة الثقافة الفرنسية و المشمة بنيد العنصرية العربية وليس كما يدعي ميشال جوبير (M. Joubert) صدى حقيقتها للضمير البربري^{١٢٤}. وقد أصبح الاغتراب يشكل نوعا من الثقافة في غياب مشروع مجتمع كقول بلعيد كل الطوائف وقادر على تجاوز التنازع والانسداد الثقافي والاجتماعي، وبفعل ظهور جيل جديد من الجزائريين ولد بعد الاستقلال ولم يعد مرتبطا بانيات الحركة الوطنية أو ملتزم بقيم الثورة التحريرية، كما لم يعد مفتحا بأي مشروع بعد فشل تجربة هواري بومدين (١٩٦٥ - ١٩٧٨) في المجال الاقتصادي والثقافي.

٢- إن المسألة البربرية ظلت محصورة في منطقة القبائل ولم تكن انعكاسا للمناطق التي تتكلم لهجات بربرية أخرى مثل الأوراس وميزاب والهوفاور - هذا إذا استثنينا أفرادا قليلين لا يميزون عن ميول السكان ومواقفهم، وهذا ما جعل الحركة البربرية حسب تعبير الجنرال أنسري (Anseri) (١٦ ماي ١٩٥٦): قضية قبايلية لا أكثر ولا أقل^{١٢٥}. وقد حاول حسين آيت أحمد إيجاد مبرر لهذه الدعوة التي ظهرت بالقبائل وإسقاطها تفسيراً يعاقل على الانسجام الوطني عندما صرح بأن: الأمة الجزائرية لها عدة مستويات هي السرعة من حيث التطور وحسب المناطق، وأن مظاهر استيفاط بلاد القبائل البكر من حيث عمقه وسرعته لنشأه عرض على القبائل والجهات تتعلق بالمشخصية الوطنية ومنها النكون أو الثابت

المسألة البربرية دم الزنائر

البربري^١، مثانيسيا تأثير الاستعمار وعمق عقلية التفرقة والتفريب التي خضعت لها بلاد القبائل بخلاف المناطق الأخرى الناطقة بالبربرية كالأوراس وميزاب والهوفار التي امتزج فيها التمييز البربري بالشعور الإسلامي وبالحمية الخالصة للغة العربية، مما يجعل كل دعوة هي هذه المناطق ضد لغة القرآن وشريعة الإسلام تعتبر بمنزلة استفزاز وتحد لا يمكن قبوله أو التسليم به.

وقد انعكس انحصار تأثير الحركة البربرية ببلاد القبائل سلبا على توجهات الحركة البربرية نفسها واقتضاها البعد الوطني الذي طلت تسعى إليه والعمل من أجله باعتبار أن شمال أفريقيا بربري، وهذا ما دفع بعض دعاة البربرية إلى محاولة تنظيم نسبة السكان المتكلمين باللغات البربرية، خاصة القبائل منهم، فقدموا نسبتهم إلى مجموع سكان الجزائر بما لا يقل عن ١٢٪^٢، فيما الإحصاءات الرسمية تحدد هذه النسبة بـ ١٢,٩٪^٣.

وهي إشار تجاوز الصفة الإقليمية والطروح من «القبائل القبائلي» نداء البربرية بلغة أمازيغية هي في الواقع لهجات بربرية عداد، وحاولوا نقل نشاطهم خارج بلاد القبائل، فاستعنت عنهم ميزاب بعد أن طغمت الجمعيات الثقافية البربرية مطلقين بفردية للغة البربرية (٢٥ - ٢٢ أبريل ١٩٩٦)، **وتم تنقل أفكارهم إلى الأوراس**، وكانوا يأملون كسب هذه المنطقة إلى جانبهم لإعطاء حركتهم صفة البربرية والتأطير الوطني^٤، لكنهم استطاعوا بانتشار الوطني معشلا في نقابا محافذا في الأوراس، وعلى رأسه المرحوم الحاج الأخضر، الذين رأوا في هذا التوجه خطرا يهدد وحدة الجزائر ويرمى مستقبلها، ولم يكتب النجاح لمطلقى اللغة البربرية بصفة التي حاولت المبرزة الوطنية لجمعيات الثقافية البربرية تنظيمه (١٩٩٢)، رغم تعاطف بعض المسؤولين بالأوراس معها. كما لم يكتب للمطلق الذي دعت إليه المحافظة السامية للأمازيغية ببلدة في شهر أغسطس ١٩٩٦ النجاح، بعد أن قدم به سكان الأوراس ووجهوا في شأنه رسالة إلى رئيس الجمهورية الجزائرية بتاريخ ١٢ مايو ١٩٩٦، جاء فيها: «كيف نفسرون هذا الميلاد القبائلي الشوه للأمازيغية في منطقة محدودة في وطننا العريق والعني باللغات والثقافات. ونحن نندد بهذه الممارسات ونشتمل لها، وحاول هؤلاء، المتمزليون ضرب اللغة العربية بإيجاد بديل لها بعد أن كانت هذه اللغة نسيا منسيا لألاف السنين في مختلف التاريخ. إن الذي يؤسف له أن يتردد من الأوراس في هذا الوقت أن يكون منطلق هذه الصلة التفرقية واللغة التاريخية وكانهم يريدون بهذه القبيلة الموقولة لتجوير تاريخ نوفمبر ١٩٥٤»^٥.

٢- إن الحركة البربرية تعبير عن التطلع الخطيرة التي تسبب فيها إعمال الحركة الوطنية الجزائرية للحزب النقابي والناصري في مشروعها الوطني. فقد أعطت الحركة الوطنية الجزائرية عقلة في اعتبار الاستقلالي مزعامة مصداقي الحاج (١٩٦٩ - ١٩٥٤) الأولوية في تضامها لتجانب السياسي الحركي على

بعد التبريري والروحي بفعل أسباب موضوعية وظروف فاعله، وهذا ما سمح للثقافة الفرنسية أن تصبح وسيلة عمل ونضال من أجل تحرير الجزائر، فكان ذلك شيئا مقبولا بالنسبة للجيل الأول الذي بعثه مصالي النعاج والذي كانت ثقافته عربية إسلامية خالصة، لكن مع وصول الجيل الثاني الذي بعثته اللجنة المركزية لحزب الشعب إلى مراكز الصدارة في المؤسسات تحولت الثقافة الفرنسية إلى ثقافة سائدة تؤثر في القطاعات والتوجهات قبل الثورة التحريرية وهي ألفتها (1961 - 1962)، وحتى بعد استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال (1962) اضطرت الدولة الجزائرية الفتية تحت الرعاية الماسة لبناء الهياكل الإدارية وتنظيم المصالح الاجتماعية والاقتصادية إلى الاعتماد على الإطارات الفرنسية، وإن وقعت شعار التعريب ونهبت فيه بعدا إلى حد اعتبار سنة 1971 موعدا لتجسيده، وهذا ما أثار مخاوف نخبة الفرنسية وجماعات الشيعيين ودعاة البربرية وواد نهارا مغاربا العربية في الأوساط المثقفة في الأندلس الجزائرية، فلم يجد ذوق الثقافة العربية بدا منه من التوظيف في الوظائف الدينية والتعليمية والاهام الثقافية والشاعرات العربية والتوقف موقفا متحفيا من التوجهات اليسارية للنظام الجزائري، مما جعل خصوصية بنوعيه أكثر حدة مع أن موشيه المحدث كان في الواقع صيبرا «عن عدم قبولهم الفكرة إيمانهم عن الفكرة التحريرية التي كانت لها مشاريع هواري بومدين أكثر من كونه صافرا عن موقف معبر عن فعل وجهي»⁽¹⁾ ومع تراجع المشروع الوحدوي أواخر السبعينيات شعرت النخبة الفرنسية معتلة في التومونكلازيم⁽²⁾ بالحكة في الأقدام وأخيرة قبولها لتراجع نهديها ومكثتها خاصة بعد فشلها في وقف عملية التعريب بعد تحية مستطير الأشراف من رؤساء التربية والتعليم وتوظيفه بمحمد الشرف خروسي (1977) وشروع هذا الأخير في تطبيق أسرة 1979 التي أقرها حزب جبهة التحرير الوطني والمثقلة بالاعتماد المدرسة الأساسية القائمة على فكرة توحيد التعليم ولعربية وجزائرية. وبذلك أصبحت المواجهة مفتوحة بين النخبة الفرنسية ودعاة البربرية وبين اتصال العربية والفرنسيين بالتواتر الوطنية الذين وجدوا في التيار الإسلامي التناسي خير سند لهم في معركتهم الصيرورية المثقلة في استرجاع العربية لشكلها الطبيعية باعتبارها اللغة الوطنية والرسمية للدولة الجزائرية.

1- إلى الحركة البربرية كانت رد فعل على عملية التعريب التي حاولت الجزائر الأخذ بها لتحقيق الاستقلال الثقافي والكتابات النخبة الحضارية، وهذا ما جعل الحركة البربرية ترتبط مطالبها وينشأ نشاطها مع التقدم الذي أحرزته الجزائر في هذا المجال فكانت المطالب البربرية في السبعينيات رد فعل على تقدم عملية التعريب كما كان تعريب الدراسة في مجال العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر (1980) والشروع في تعريب الحالة المدنية يوم 20 أبريل 1980 أساسا لأحداث الربيع الأمازيغي⁽³⁾.

إن دخول قانون استعمال اللغة العربية في الإدارة والحياة العامة والمؤسسات حينئذ التنفيذ ابتداء من تاريخ 5 يوليو 1994 وقرار تعريب الجامعة تعريبا كليا في 6 يوليو 2000، جعل نشاط الحركة البربرية يتخذ شكلا متغيا، فكانت جاذبة الانتباه الطرب

المسألة البربرية في الجزائر

الشعبي القبائلي مصطفى الوتراس (٢٦ يونيو ١٩٩٨) سببا في إشعال نار الفتنة ووقع تطبيق القانون. وبدا الحدث عن نشوء الحركة المسلحة البربرية التي هدفت بقتل كل من يطبق قانون التعريب^(١).

٥- إن الحركة البربرية هي تعبير عن الصراع الأيديولوجي والثقافي الذي نميشه الجزائر منذ الاستقلال وحتى الآن، فهي تعبر مرة للمهاجرة وثقافة الحرب الواحد في الجزائر (١٩٩٢-١٩٩٨) التي شهدت العناصر القبلية في المجتمع وأفرغت المساحة الجزائرية من عوامل الناعة الذاتية النابعة من الإيمان العميق بالقيم والبدن. كما أنها نتيجة غير موفقة لممارسة تعددية حزبية ظلت فاسدة منذ استقلالها سنة ١٩٦٢. من تكوين آراء وثقافات مشتركة بين الجزائريين، وهذا ما سمح للمهاجرة البربرية بأن تطرح نفسها كقضية ثقافية ومسألة سياسية في آن واحد، وتصبح واقعا اجتماعيا يلزم على الشارع الجزائري بعد أن تعامل معها النظام الجزائري بنظرة أمنية، غالبا ما تكون واقع ثوارات السلطة، الأمر الذي أحدث قلقا وجدانيا وثقافيا لأنها خاصة بين دعايتها بعد أن انصلوا عن دوائر السلطة والي يوزوا مرشحين لمعضل الإدارة الجزائرية، وبذلك لم يعد دعاة البربرية يقتنعون بحداثة القضية المنددة في الفترة الدولة الجزائرية التي طالت رعايتهم وتقبلت أفكارهم وفحصت ظروف من شاكلتهم ما داموا حيا، طلبين في مواجهة التعريب والحيولة دون استرجاع اللغة العربية مكانتها العنصرية في المجتمع ومؤسسات الدولة الجزائرية.

٦- إن الحركة البربرية تعبر عن آراء وضع ثقافي واجتماعي قائم على الإدراجية الثقافية والثقافة الاجتماعية بين مغربيين ومغربيين هو مصفوفة تقسيم دول العدل ونوعية النشاط الثقافي والتعليمي. هادى ذلك إلى انقضاء اجتماعي وتعبد لموي لموضع في شكل قيم ثقافية وثقافات دينية معبرة عن المصالح الذاتية، وهذا ما جعل الحركة البربرية تباعد عن طابعها الثقافي وتربط أكثر فأكثر بالنزعة السياسية وتدمج في التنظيم الحزبي وتصبح جزءا من المجتمع المدني الرافض للقيم الإسلامية والمربية، وهذا ما يؤكد تحول دعاة البربرية الذين كانوا ينشطون في المساحة الثقافية إلى العمل السياسي، وبذلك هيأوا الأرضية لظهور أحزاب سياسية بعد إقرار التعددية السياسية إثر أحداث ٥ أكتوبر ١٩٨٩، وهذا ما أدى لاحقا إلى تقسيم الحركة الثقافية البربرية إلى عدة توجهات بدأت تظهر تصنيفات بين مؤيدين والجزيريين الرئيسيين بمنطقة القبائل إحداهما مؤيدة لحزب جبهة القوى الاشتراكية، والأخرى مساندة لحزب الشعب من أجل الثقافة والديمقراطية.

٧- إن الحركة البربرية نشاط ثقافي ظاهري ناتج عن ثقافات ثقافية ومواقف أيديولوجية سوف لن تلبث حركة التاريخ الجزائري أن تستوعبه، لأن الواقع الجزائري اليوم - باعتباره حصيلة لتطورات تاريخية - لا يقر بوجود أقلية أو أغلبية لغوية أو عرقية بربرية أو عربية تبرز صوب وحدة الشعب الجزائري وتقسيمه إلى ثقافتين ولغتين، وحتى لو افترضنا بأن هناك

أقلية حسب مفهوم دغلة البربرية فإنها - قبل كل شيء - أقلية شعبية تحاول النخبة القومانية في بلاد القبائل استقلالها والبرازلها متناسبة أنها تشترك مع الأغلبية في الأصول، وتسهم معها باستمرار في تكوين الأكثرية العربية لأن هذه الأكثرية إن سلمنا بوجودها فإنها قائمة على أساس الانتماء الحضاري لا العنصري¹²².

وهذه النظرة فإنها تعزير التعصب البربري في الجزائر تيارا مضادا لتسير التاريخ وتطور المجتمع يحاول وقف عجلة التاريخ. وهذا المفهوم تمثل الحركة البربرية في نظرنا مجرد ظاهرة ثقافية واجتماعية انتعشت في الفترة الاستعمارية التي عاشتها الجزائر وعازلت آثارها ملموسة ومؤثرة في المجتمع الجزائري. وتعبير عن تازم اجتماعي وفراق ثقافي لم تستطع الحركة الوطنية طرحه بالشكل الصحيح ولا الحكومات الجزائرية بعد الاستقلال معالجته بالأسلوب الناقص. والأمر يتطلب اليوم حل هذا المشكل في إطار المسائلتين السياسية والثقافية اللتين يتوقف مستقبل الجزائر على إيجاد حلول لهما.



وأخيرا... لا يمكننا إلا القول إن حقيرة الشعب الجزائري الذي عاش مأسى وويلات الاستعمار الفرنسي (1830 - 1962)، وحاض ملهمة الثورة بحدود (1962 - 1964)، ولصعد لعملية البناء الوطني في ظروف صعبة - كثيرة ياخذوا. الآثار السلبية الناتجة من «المسألة البربرية» وتجاوز الأزمات والظواهر المربكة بها. وذلك في إطار مشروع ثقافي نابع من روح الشعب الجزائري، ومصر عن روح المواطنة، وتسير بالعقلانية والأصالة والحيوية والتضامن والاتساح، بحيث يصبح التمسك القومي جس والاختلاف في الرؤى حيوية. وطرح الأفكار المستعجلة حاضرا للتفاعل وعاملا مساعدا على تجاوز التمرکز حول الذات ودافعا للتفتاح على الآخر. وهذا ما يجعل من «البعد البربري» في الذاكرة التاريخية وفي التراث الجزائري، عنصر تدعيم وتوحيد وتعزيز للشخصية الجزائرية، حينما حدد مواصفاتها وبنائها مكوناتها باعث النهضة الجزائرية الإمام عبد الحميد بن باديس في الثلاثينيات من القرن الماضي، التي تلتخص في الامتزاز بالأسول البربرية والتمسك بالطاقة العربية وتمثل الروح الإسلامية والالتزام بالوطنية الجزائرية والتي عبر عنها تشييده الخالد، الذي تلمت البيتين الأول والأخير منه للملاية من هذه الهوية وما تتطلبه من مواقف وتضحيات:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينسحب
فدا ملكك فنصرحتني لولا الجزائر والعرب

- 4 - Ch. R. Ageron, L'Algérie algérienne de Napoléon III à De Gaulle, Paris, Sindbad, 1980 («La politique berbère sous le Second Empire, pp. 37-71).
- Ch. R. Ageron, La France arabe ou une politique kabyle, in Revue historique, avril 1960, pp. 311-352.
- 7 - J.- M. Verneux de Paradis, Grammaire et dictionnaire abrégé de la langue berbère, Paris, imp. Royale, 1844.
- 8 - Abbé G. F. Raynal, Histoire philosophique et politique des établissements et du commerce des Européens dans l'Afrique septentrionale, Paris, Costes, 1826.
- 9 - Pharaon, Les Cabyles et Bougie, Alger, Philippe, 1935.
- A. Durcau de la Malle, Recueil de renseignements pour l'expédition ou l'établissement des Français dans cette partie de l'Afrique septentrionale, Paris, Gide, 1837.
- H. Saladin, Lettre sur la colonisation des possessions françaises dans le nord de l'Afrique, Genève, imp. Delafère et Boushry, 1897.
- Colonel Ed. Lapeire, Vingt-six années à Bougie, Note historique, morale, politique et militaire sur les Kabyles, Paris, Trésorier, 1859, publiées partie sous le titre : Tableau historique, social et politique sur les Kabyles-Méls, De la Morte, 1846.
- Abbé Suchet, Lettres édifiantes et curieuses sur l'Algérie, T. uns, Mame, 1840.
- Père Dugas, La Kabylie et le peuple kabyle, Paris, 1841.
- Baron Haude, L'Algérie, 2 Vols., Paris, 1841.
- E. Bayeux , Voyage politique et descriptif dans le Nord de l'Afrique, Paris, Brocaut et Armandes, 1841.
- Ch. Brusselind, Dictionnaire français-berbère avec le concours de Sidi Ahmed ben El-Hadj Ali, Paris, imp. Royale, 1844.
- Maréchal Th. R. Bugeaud, Exposé de l'état actuel de la société arabe, ou De diverses races qui peuplent l'Algérie, les Arabes, les Kabyles, in Revue de l'Orient, T. VI, 1845, pp. 345-361.
- Capitaine Fabar et Général Eu. Daumas, La Grande Kabylie, Etudes historiques, Paris, Hachette, 1847.
- Ch. Duplén, Les Kabyles et la Kabylie, in Revue de l'Orient et de l'Algérie, 1847, pp. 264-280.
- Capitaine Carette, Etude sur la Kabylie proprement dite, in Exploration scientifique de l'Algérie, T. I, 1848.
- Captaine Carette, Recherches sur les origines et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie, 2 Vols., Paris,

1840-1842.

- Général Eugène Daumas, La société berbère, in *Revue de l'Orient, de l'Algérie et des Colonies*, T. VII, 1858, pp. 305-321.
- Général Eugène Daumas, La Kabylie, in *Revue contemporaine*, 1856, pp. 1-31.
- Général Eugène Daumas, Mœurs et coutumes de l'Algérie (Tell, Kabylie et Sahara), 1ère éd., 1853 (4ème éd., 1864).
- L. de Binklévre, La colonisation de l'Algérie, ses éléments, Paris, Leconte, 1856.
- A. Berbrugger, Les époques militaires de la Grande Kabylie, Paris, Baste et Chailamel, 1857.
- A. Berbrugger, Les confins militaires de la Grande Kabylie sous la domination turque (Province d'Alger), Alger, 1857.
- Ch. L. Féraud, Notes sur Bougie, in *Revue africaine*, 1859-1859.
- C. Devaux, Les Kebbals du Djerdjara, Paris-Marseille, ed. Chailamel, 1859.
- Dr. A. Bernard, Campagne de la Kabylie, Paris, 1860.
- Colonel L. Guin, Notice sur le Cherif **Gassen des Gueschoulas**, in *Revue africaine*, T. 5, 1861, pp. 306-314. Notice sur la famille des Roberts de Cherchiel, in *Revue africaine*, T. 17, 1873, pp. 414-432.
- Baron H. Aescapitalais, Les Kabyles et la colonisation de l'Algérie, Paris, Chailamel, 1864.
- Ch. Farine, A travers la Kabylie, Paris, éd. Duquesq, 1866.
- N. Bibesco, Les Kabyles du Djardjara, in *Revue des deux mondes*, T. 2, mars 1866, pp. 113-149.
- V. Bernard, Indicateur général de l'Algérie, Alger, Baste, 1867.
- G. Haroueau, Poésies populaires de la Kabylie du Djardjara, Paris, imp. impériale, 1867.
- Au. Porcé, Races indigènes de l'Algérie, Arabes, Kabyles, Maures et Juifs, Oran, Typo. Dagorn, 1871.
- Général A. Haroueau et A. Lecomte, La Kabylie et les coutumes kabyles, 2 Vols., Paris, Chailamel, 1872-1873.
- Colonel N. Robin, Note sur l'organisation militaire et administrative des turcs dans la Grande Kabylie, in *Revue africaine*, T. 17, 1873, pp. 132-140 et 196-207.
- Colonel N. Robin, Insurrection de la Grande Kabylie, 1871, Paris, 1901 et Notes historiques sur la Grande Kabylie de 1851 à 1858, in *Revue africaine*, 1902.
- H. Fournel, Les Berbères, Etudes sur la conquête de l'Afrique par les Arabes, 2 Vols., Paris, imp. Nationale, 1875.

- Dr. Gavoy, Notice sur Tizi-Ouzou, Alger, Typo. Victor Asland et Cie., 1878.
- M. Manoussier, Anthropologie de l'Algérie, in Revue scientifique, 3ème série, n° 13, avril 1881, pp. 468-474.
- Colonel Trumelct, Les Saints de l'islam, Les Saints du Tell, Paris, Odeur et Cie, 1881.
- E. Merrier, Les indigènes de l'Algérie, Paris, Challamel, 1884.
- E. Masqueray, Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie (Kabyles du Djurdjura, Chaouia de l'Aurès, Beni Mezab), Paris, E. Leroux, 1886.
- O. Hissler, Ethnographie de l'Algérie, Paris, Maisonneuve frères et Ch. Lacroix, 1886.
- H. E. Perret, Récits algériens, 2 Vols., Paris, Bloud et Barral, 1888.
- P. Gaillard, L'Algérie conquise, 1888.
- A. Viré, Les Kabyles du Djurdjura, in Bulletin de la Société anthropologique de Paris, T. 46, 1891, pp. 58-66.
- E. Charveniat, A travers la Kabylie et les diverses Kabyles, Paris, 1889.
- L. Rinn, L'imarication de l'Algérie, Alger, 1890.
- Jules Lionel, Récits berbères, Kabyles du Djurdjura, Paris, E. Leroux, 1892.
- G. Boissier, L'Afrique latine, Paris, 1895.
- Georges Elie, La Kabylie du Djurdjura et les Pâtes Blanches, Paris, 1921.
- J. Le Maître, Mœurs et costumes kabyles, Montpellier, 1903.
- H. Garros, L'islamisme et son action en Berbérie, in Bulletin de la Société de Géographie de l'Afrique du Nord, T. XI, 1906, pp. 154-188.
- H. Garros, Histoire générale de l'Algérie, Alger, 1910. -
- E. Laoust, Étude sur les dialectes berbères, Paris, E. Leroux, 1912.
- Ed. Duval, E. F. Gauthier, Enquête sur la disparition de la langue berbère, Alger, Jourdan, 1913.
- G. Maqan, Les Arabes en Berbérie du XI^e au XIV^e siècles, Paris, 1913.
- E. Merrier, Les indigènes de l'Algérie, leur situation dans le passé et le présent, Paris, Challamel, 1884.
- Colonel L. Pechon, Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830, 3 Vols., Alger, 1914.
- Panay Colonna, Savants paysans, Eléments d'histoire sociale sur l'Algérie rurale, Alger, O.P.U., 1987, p. 96.
- E. charveniat, op.cit., p. 20.

10 احمد بن عثمان، فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر، الجزائر، منشورات «عالم» 1993، ص 141.

11 Pipet, Les civilisations de l'Afrique du Nord, Berbères, Arabes et Turcs, Paris,

- A. Colin, 1921, d'après K. Filali, Le mythe kabyle et la politique coloniale de division, Unité de recherche Afrique et Monde Arabe, Université de Constantine, 1998, Travail dactylographié, p. 9.
- L. Bernard, Le sang des races, le cycle africain, Paris, 1930 14
- Am. Bernard, L'Algérie, Paris, L. Félix Alcan, 1929, p. 140. 15
- H. Fournel, op.cit. 16
- V. Piquet, op.cit. 17
- G. Boissier, op.cit., p. 114. 18
- Augustin Belkacem Ibrahime, Le pont de Berekmouch, ou le bonde de mille ans, la table ronde 1980, d'après Guy Pervillé, Les étudiants algériens de l'université française (1880-1962), Paris, éd. du C.N.R.S., 1984, pp. 214-215.
- Général Eu. Dumas, La société berbère et la Kabylie, op.cit. 20
- Guide de Bougie, la Petite Kabylie, Paris, 1914, p. 20 21
- E. Caron, Recherches sur les origines, op.cit. 22
- اعتباراً على هذا الأساس (راجع المراجعين في المجلد) وأحد أهم مساهمات الطبعة الجزائرية الإسلامية، 1977، ج 2، ص 122.
- Lhaoussine Mouggi, Vie politique de l'Algérie berbere, Alger, Maison des Livres, s.d., p. 96. 23
- Ch. R. Ageron, L'Algérie algérienne, op.cit., p. 41 24
- Idem, p. 58. 25
- أحمد توفيق المصلي، كتب الجزائري، الجزائري، الطبعة العربية، 1975، ص 211.
- الطهوير البربري في المغرب الأقصى (1940) هو استمران للسياسة البربرية الفرنسية في الجزائر، وهو يهدف إلى تمزيق وحدة العرب الأقبس الحضارية بإبعاد البربر عن الثقافة العربية والإسلامية وزيادتهم عدداً. سمى في أترالهم والمصنف لهم مهدياً بالموالي في المغرب. وقد بدأ التمهيد له بيس ظهور 1917 لإحياء الثقافة البربرية التي تضرر بامتداد الجزائريين في أثناء الحضاء الشرعي بالمناطق البربرية (1917) والقتل على عهد القوي القائم لوسيان سان في شكل ظهور (موسوم) صدر في 16 مايو 1920، مما أدى إلى رد فعل وطني صوب من قبل المعارضة برورا وهو ما في شكل مظاهرات واحتجاجات واستمرارات. وكان شعار المقاومة التي انطلقت من القرويين بسان في شهر يونيو 1920 «اللهم يا لطيف، سداكك الخطب فيها جردت به القادر». لا تفرق فيها وبين (موانة البربر) ولكن له معنى في المبادئ العربي والإسلامي الذي انبسط مع الشعب العربي في مقاومتها. هذا استمر سلطة المعالجة الفرنسية بالمغرب إلى تعميم الطهوير البربري طاهورياً وإن ظلت تصدر على تعميمها. هذا على طريق الاستعدادات الطبيعية (الكواكب العربية البربري الذي انبث في أيارو سنة 1924) والركائز التاريخية (2.88 مركزاً تنتشر في المناطق البربرية سنة 1977).
- تتصرف على خلفية الطهوير البربري الذي أصدرته فرنسا في المغرب (1940) يوماً ما على من مواقف ومقاومة، راجع مقال المصلي، المعركت الاستقلالية في المغرب العربي، الرياض، 1980، ص 111-114.

- 90 وهذا ما أثر قلق واستياء كثير من الفرنسيين وثمة دعاة البويرية وسعدوا بملابح الكفاحات الفرنسية الجزائرية البويرية الذي اعتبر ذلك بمثابة ومصلحة فرنسا وميزان السكان. (راجع: Général André, Contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, Alger, Maison des Livres, 1956, p. 356).
- 91 Ch. A. Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871), Paris, P.U.F., 1964, p. 44.
- 92 Philippe Antony, Missions des Pères blancs (Tunisie, Algérie, Sahara et Kabylie), Paris, éd. Doin, 1930, pp. 144 etc.
- 93 أحمد فخر الدين، المصدر نفسه، ص 74.
- 94 A. de Tocqueville, d'après K. Fitah, op.cit., p. 5.
- 95 Général André, op.cit., p. 354.
- 96 محمد الصغير، تاريخ ثورة أورق ضد مشايخها وحسن سمة (1981)، ترجمة موسى زعولي، الجزائر مطبوعات كتاب، 1992، ص 124، وكذلك.
- 97 J. Morizot, Les Kabyles, propos d'aujourd'hui, Paris, pub. du C.H.E.A.M., 1983, pp. 140-147.
- 98 C. Lacoste-Dugard, Y. Lagueze, Progres de l'enseignement et particularismes locaux en Algérie, la réorganisation des tribunes de Grande Kabylie, in Le Monde Diplomatique, décembre 1980, p. 54.
- 99 حضرة الصراف أحمد بن عبد السلام بن عبد السلام (1821-1891) إلى عبد العسكري بوم على مرافقة السكان عن طريق القنصلية البويرية (انظر هامش 9) ويشتد إلى مراسيم إمبراطورية انحداد القنصلية (1877) والأحوال الشططية (1876) وقد تولى الحكام العسكريون الفرنسيون للجزائر على عهد نابليون الثالث سياسة بويرية تهدف إلى تقسيم السكان وخلق حالة عداء بينهم، كانت محل نقمة البوميين الفرنسيين في الجزائر الذين كفوا بتحويلهم إلى الاستعماريين على كل شيء في الجزائر، مما مظهر بوم في السياسة البويرية نظرا منهم، فوكلوا صدها في مجال الاقتصاد والإدارة بعد سقوط نابليون الثالث، وجاء الحكم العسكري في الجزائر (1870) وهذا ما جعل السياسة البويرية، تقصير بعد ذلك على المناطق القبلية لخلق عداء لفرنسا في الجزائر وليس للسكان معصومة، عزازة، فهدا كان وضعها، لأن تقوم بدور الحليف الطبيعي للفرنسيين في الجزائر.
- 100 Lluissine Mouggi, op.cit., p. 196.
- 101 Général André, op.cit., p. 355.
- 102 انظر هامش 9.
- 103 Ch. Bressolard, op.cit.
- 104 Ch. R. Agron, Les Algériens musulmans et la France (1871-1919), Paris, P.U.F., 1968, T. 1, p. 291.
- 105 Henri Basset, Essai sur la littérature des berbères, Thèse de Lettres, Alger, Carboneil, 1920.

- 60 من القراءم نشاطاً وثقافياً أو . شير القدرس بمدرسة ليزي أورو ثم بالثاء، وكلمتي سالتانيه فاضلي معكمممة ليزي أورو ثم القومض الإداري الشدية الأربعة ماث الوثن، وروبو القومض الإداري الشدية جوجدة المستطعة راجع.
- 61 محمد الصغير طرج، المصدر نفسه، ص 164 و164.
- 62 السيد رسول شرف الدين، الشياطين، جود المرافد، جريدة الشروق العربي، عدد 911، يوليو 1977، ص 9.
- 63 Lhamsane Mouggi, op.cit, p. 92.
- 64 Ahmed Taleb, La situation linguistique, in Revue Nadjma, Paris, n° 1, septembre 1981, pp. 16-19.
- 65 Libération, Paris, 28 février 1982.
- 66 محمد الصغير زعالي، البحر العر وأو صفة الشعر، جريدة الشعب، الجزائر، 4 أبريل، 1977.
- 67 المعروف أكثر على صفة التسلل الليزي باللغة العربية، راجع: هلمان سعدي، جريدة الجزائر عصر الماروج، الجزائر، الشركة الوطنية للشعر والترويض، 1987.
- 68 Lhamsane Mouggi, op.cit, p. 197.
- 69 سعدي حسن الليزيه في العهد السياسي والحضرة الاجتماعية، in: *Le monde arabe*، في مسعود، جريدة الوقت، عدد 170، 18، 19 أبريل، 1976، ص 90.
- 70 Karima Dircche-Slimani, Histoire de la question berbère en Algérie, les modalités d'une construction idéologique, in *Prologues. Revue multiraciale du Livre*, Casablanca, n° 17, 1980, p. 16.
- 71 Michel Jolani, Maghreb à l'ombre de ses voisins, Paris, Albin Michel, 1985, p. 105.
- 72 Hocine Ait Ahmed, La brasse berbère, in *Autrement* (L'Algérie 20 ans), n° 38, 1982, p. 155.
- 73 Karth Yacine, Abdellader et l'indépendance algérienne, Conférence à Paris, 24 mai 1947 à la Salle des Savants, Alger, S.N.E.D., 1983.
- 74 Jeune Afrique, 28 janvier 1987.
- 75 Revue Nadjma, op.cit., p. 20.
- 76 La Dépêche quotidienne du 24 septembre 1952.
- 77 إعلاما على محمد الصالح ديزري، معاورات حول البرية الشعبية بلوابة محمد، في: *الوحدة*، صفي بن عيسى، الأسبلة، عدد 1989/107، ص 11 و17.
- 78 Nouvelles Indes du 17 novembre 1952.
- 79 إعلاما على محمد الصالح ديزري، المصدر نفسه.
- 80 Maurice Thorez, Le desastre d'Alger du 11 février 1958.
- 81 Omar Guendou, La question berbère dans le mouvement national, Alger, éd. Epigraphie, 1993, p. 105.
- 82 Benyoucef Ben Khadda, Les origines du premier novembre 1954, Alger, éd. Dahlab, 1989, p. 170.

- Mem, p. 178. 81
- Omar Ouadain, op.cit. D'après : Janet Dorah Zogaria, The Rise and Fall of the 82
Movement of Messali Hadj in Algeria, quoted by : M. Madi, Langue et identité de
la marginalisation à la résistance, in Reflexions, Alger, Casbah éd., 1997, p. 113.
Benyoucef Ben Khadda, op.cit., p. 170. 83
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 177. 84
- التقرير العام للجنة المركزية لحركة التحرير الديمقراطية، نشره يحيى بوعزيز، الأيديولوجيات 85
السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاث وثائق جزئية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،
1987، ص 97. 86
- Benyoucef Ben Khadda, op.cit., pp. 179-181. 87
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 177 و 179. عن مذكرات أيد أحمد الشوربة في فرنسا سنة 1987. 88
- أوزيفان، المصدر نفسه، ص 78. 89
- M. Madi, op.cit, p. 112.
- Soual, n° 26, 1987, L'Algérie suivie-telle. 90
- التقرير العام للجنة المركزية لحركة التحرير الديمقراطية، المصدر نفسه، ص 97. 91
- أحمد بن مياران، سيدي محمد الصديق المصطفى الحفصية وأطار تكوين الشقوف والجزائر، مجلة التاريخية 92
الجزيرية تونس، سنة 1987، ص 39-40.
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 177 (الأكاديمية البربرية، باريس، 28 يناير 1997، الوثيقة رقم 7، 93
منشور سري بعنوان: أيها البرابر استيقظوا).
- المصدر السابق، ص 179 (الأكاديمية البربرية، باريس، 28 يناير 1997، الوثيقة رقم 7، منشور سري بعنوان: 94
أيها البرابر استيقظوا).
- Algérie Actualité du 23 janvier 1992. 95
- Camilie Lacoste-Dujardin, Chansons berbères, chansons pour vivre, in His- 96
toire, n°3, octobre 1978.
- Algérie Actualité du 23 janvier 1992. 97
- Moulood Mameri, Poèmes kabyles anciens, Paris, Maspéro, 1980. 98
- Camilie Lacoste-Dujardin et Y. Lacoste, Progrès de l'enseignement..., op.cit., 99
pp. 24-33.
- J. Morizot, op.cit, p. 262. 100
- Journal Le Monde, 7 et 15 février 1985. 101
- Séminaire de Yakouren, août 1980, Rapport de la commission Culture et His- 102
toire : Quelle identité ? Inedyazen, Paris, premier trimestre 1981, pp. 16-23.
- Morizot, op.cit., pp. 265-266 et 270-271
- Morizot, op.cit., p. 262. 103
- أحمد بن نعمان، المصدر نفسه، ص 187 (الوثيقة رقم 7، لقاء إلى طلبة الثانويات، أبريل 1987). 104

103 لقد سبقت الأحزاب السياسية الجزائرية في جعلهاا بشرعية المطالب الثقافية البربرية. باعتبارها وسيلة لتجديد وكسب الأناصر وإن اختلفت في تكييفها وكيفية معالجتها. فثبتت كل مطالبة الأحزاب ذات التوجه العلماني مثل جبهة القوى الاشتراكية بزمامة أيت أحمد، وحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية بزمامة محمد معدي، وجبهة الشيوخين الوطنيين في حزب الطليعة الاشتراكية (1999) الذي تحول إلى حزب التمدني ثم إلى الحركة الاشتراكية الديمقراطية بزمامة الهادي الشريف، وحزب العمال بقيادة أويلا عنون. بالإضافة إلى حركة مجد المرحوم هادي مرياح، والحركة الديمقراطية للتجديد الجزائري المرحوم سليمان صدرات، والتجمع من أجل الحريات والرفاهية لروفي معدي، وحزب الأصالة والمعاصرة. أما الأحزاب ذات التوجه الوطني واليول الإسلامية فمثل اتحادية الأمنانية أحمد تواتر الشفعية الجزائرية المتكاملة مع العروبة والإسلام باعتبارها أصالة وتراث للشعب الجزائري. كما هي الحال بالنسبة إلى جبهة التحرير الوطني وحركة حماس بزمامة محفوظ معطوف وحركة النهضة وحركة الإصلاح...

104 لقد استطاعت حركة المروزي اعتماد الصحافة الجزائرية من خلال مواظبة ورعيات نظرها، راجع: J. Sempun, Apologie pour l'insurrection algérienne, 30 septembre 2001, éd. de l'Encyclopédie des naissances, Paris, 2001.

idem.

Leoran, n° 26, mars 2002, pp. 4-5.

Info Matia, Paris, 27 septembre 1994, p. 5.

El Watan, 20-23 avril 1993.

http://www.leshermes.net/

رشيد الإدريسي، المصدر نفسه، الحلقة الثالثة، 29 يوليو 2001، ص 17.

سحلي حسن، المصدر نفسه، ص 10.

انظر ماضى 1-1.

محمد زروقي، تصريح لجريدة النهار، الجزائر، 19-11-1988.

- أيت موهوب، إقصاء الأمنانية استعمار آخر، جريدة الوقت، الجزائر، عدد 70-71 أبريل 1991.

Hocine Ali Ahmed, op.cit., p. 156.

انظر كذلك الحوار الذي أجراه محمد بوزاد مع حسين أيت أحمد ونشره في مجلة جون أفريك، عدد 17.

1992، ونشره جورج راسي في الإسلام الجزائري، بيروت، دار التوحيد، 1992، ص 71.

Benyoucef Ben Khadda, op.cit., p. 183.

ألفي بيلباس، من هم الأحرار الأمنانيون؟ جريدة الشعب، الجزائر، 22 فبراير 1990.

بيان مساندة القوم المسلمين المسألة الأمنانية، الشروط العربي، الجزائر، عدد 91، 98 ديسمبر-1 كانون

1993.

بيان لجنة الدفاع عن الوحدة الوطنية وتواتر الأصالة برفقة موجه إلى رئيس الجمهورية بتاريخ 21 نوفمبر

1991 (مطبوع على الآلة الكاتبة).

انظر ماضى 1.

Benyoucef Ben Khadda, op.cit., p. 170.

M. Jobert, op.cit., p. 103.

- Colonel Abdel, op.cit., p. 352. 101
- Hocine Ali Ahmed, op.cit., p. 154. 102
- جون بول ماري، الحرب على جهنم، جريدة الوقت، الجزائر، عدد 20، 14-15 أبريل 1993، ص 12. 103
- أنظر هامش 3. 104
- جريدة الطير، الجزائر، 24-25 أبريل 1993. 105
- رسالة من سكان الأوراس إلى رئيس الجمهورية الجزائرية حول موضوع مطلب الأمازيغية، 19 مايو 1993 (مطبوعة على الآلة الكتابة). 106
- أحمد بن مبارك، المصدر نفسه، ص 22. 107
- M. Dahmani, L'Algérie, légitimité historique et continuité politique, Paris, 1979, p. 156. 108
- K. Dirache-Slimani, op.cit., p. 19. 109
- أحمد رضوان شريف الدين، المصدر نفسه. 110



آفاق نقدية



ARCHIVE

<http://www.alukah.net>

● لبار الوجد السبائك في المنهج التاريخي

● طبعه مذهب الكلام ووظيفته

● تصور التاريخ في تأليف ابن قتيبة مقدمات • جهود الأخبار • تعودنا